

خطبة جمعة الطيب والخبيث

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

أعد هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يقبل إلا طيباً، الحمد لله الذي جعل الجنة طيبة وداراً للطيبين، وجعل النار خبيثة وداراً للخبيثين، الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين، وجعل الخبيثات للخبيثين.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بشر وأنذر، وأوصى بتقوى الله عز وجل، وأوصى حين احتضاره عليه الصلاة والسلام بالصلاة وعظم أمرها، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وتقدس وتعظم:- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، فهذا بيان من الله -جل وعلا- وحكم منه أنه لا يستوي عنده الخبيث والطيب؛ بل لا يستوي الطيب والخبيث مطلقاً، فالطيب مفضل، الطيب في أعلى الدرجات، والخبيث في أسفل سافلين، وفي أسفل الدرجات. الخبيث من الأقوال يُدليه الله -جل وعلا- في جهنم، والطيب من الأقوال يرفعه الله -جل وعلا- في الجنة في دار كرامته.

الطيب من الأعمال يحبّه الله -جل وعلا-، فإن الله طيب لا يحب إلا طيباً.

إن الله -جل جلاله- طيب يحب الطيب من القول ويحب الطيب من العمل ويضاعفه لأصحابه.

الله -جل وعلا- يحب الطيبين من الناس، ويبغض الخبيثين من الناس.

الله -جل وعلا- يرفع الطيب من المال ويبارك لأصحابه فيه، ويخفض الخبيث من المال ويجعله وبالا على أصحابه.

فهذه أنحاء أربعة يكون فيها الطيب والخبيث، طيب في الأقوال، وطيب في الأفعال والأعمال، وطيب في الناس، وطيب في الأموال، وما يقابلها خبيث في الأقوال، وخبيث في الأعمال، وخبيث في الناس، وخبيث في الأموال.

وعلى هذا فلنعلم أن قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، فهي لنا أن نُعَجِبَ بالخبيث، فهي لنا أن نُعَجِبَ بالكثير إذا لم يكن طيباً، فالله -جل وعلا- أمر ونهى بأن نكون طيبين في أقوالنا وأعمالنا وذواتنا وأموالنا، ونهانا أن نكون من الخبيثين في أقوالنا وفي أعمالنا وفي ذواتنا وفي أموالنا.

فانظر -رحمك الله- هل يستوي الذي طاب لسانه وطاب قيله وقوله؟ فهو لا يقول إلا القول الطيب، إذا حضرت مجلسه وجدته طيباً مطيباً، إنما يذكر القول الحسن الذي فيه إرشاد للخير أو الذي فيه صلة أو الذي فيه إصلاح بين الناس، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، من الناس من أقواله طيبة؛ طيب في لسانه، لا ينطق إلا بكلام طيب حسن يُسرُّ به سامعه، ويقربُه إلى مولاه ويباعدُه من نزغات الشياطين، فهل يستوي من طاب لسانه مع ذلك الرجل الآخر -أو مع تلك المرأة الأخرى- الذي إذا تكلم -أعني الرجل- فإنما يتكلم بخبيث من القول؛ بغيبة أو بنميمة، أو بتفريق بين الناس، أو بنقل القالة فيما بينهم ليوغر صدر فلان من إخوانه المسلمين على الآخر، إذا تكلم فإنما يتكلم بالخبيث؛ يرشد إلى منكر أو يحبب إلى خبيث، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، لا يستوي اللسان الطيب واللسان الخبيث، ولو قلّ كلام من لسانه طيب وهو أركى عند الله جل وعلا، وإن ظنه الناس في عيٍّ من القول وعدم إفصاح وإنما ينطق بالحق وبما يقربُه إلى ربه -جل وعلا-، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمعاذ في وصيته له: ((وَكُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)) قال: يا رسول الله أو إنا مؤاخذون بما نقول؟ قال: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)).^(١)

أيضا -أيها المؤمنون- لا يستوي ذو الطيب من الأعمال؛ ذو الطيب من الأفعال وذاك ذو خُبث في الأعمال وذو خبث في الأفعال.

هذا الطيب في عمله إذا رأيته رأيت عمله طيباً، رأيت عمله حسناً، رأيت عمله يحبب إلى الله ويحبب إليه الناس، فهو لا يسعى إلا بعمله، يُسرُّ به من رآه، طيب في عمله، مؤدٍّ لأمانته العظمى في حق الله -جل وعلا-، بأداء فرائض الله، بأداء الواجبات التي أوجبها رب الأرض والسموات، إذا عمل فإنما يعمل على وفق الشرع، فهو طيب في أعماله، راعٍ لأمانته في وظيفته، إذا استرعى على مال حفظه، إذا استرعى على أيتام حفظهم وحفظ أموالهم، إذا استرعى على ولده حفظهم وحفظ تربيته، فهو طيب في عمله طيب في فعله، والله -جل وعلا- طيب يحب الطيبين والجنة دار للطيبين.

(١) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦).

سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

فهل يستوي هـذا وذاك الآخر الخبيث في عمله، الخبيث في فعله، تراه لم يرع أمانة الله، وفرط في واجبات الله؛ لم يؤدّ الصلوات، وخان الأمانة؛ لم يؤدّ زكاة المال، إذا استرعي على عمل خانه، إذا استرعي على مال أكله، استرعي على وظيفة ارتشى وغشّ وخان، فهذا عمله خبيث، وعمله موبقٌ له.

إذا رأيت هؤلاء كثيرين، والطيبين قليلين الذين يَرَعُونَ أمانتهم فتذكر قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، بعض الناس إذا رأى الأكثرين تسارعوا في الخبيث من الأقوال والخبيث من الأعمال، وأن سوءاً في ثمرة الطيب من الأعمال وثمره الطيب من الأعمال، يقول: الناس كلهم كذلك، فيحمله ذلك الظن على ألا يكون طيباً في قوله وفي عمله وفعله، وهذا من مداخل الشيطان على القلوب، وربك -جلّ وعلا- يقول: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

كذلك الطيب من الناس لا يستوي مع الخبيث من الناس، المؤمن التقي الموحد لله الذي أخلص قوله وعمله لله؛ فليس في قلبه عمل لغير الله، إنما هو محبٌ لله، مخلص في قوله، مخلص في توجهاته لله، طاب ذاتا وقلبا، فليس في قلبه إلا محبة الله، ليس في قلبه إلا محبة رسول الله ﷺ، يُغضُّ الشرك وأهله والبدع وأهلها، يُغضُّ ذلك متقرباً بذلك إلى الله، ويجاهد في ذلك، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

هل يستوي هو والآخر الذي لا يحب السنة وأهلها، الذي لا يرفع رأساً بأعظم واجب ألا وهو توحيد الله، يتساهل في ذلك؛ إما في نفسه أو في من حوله أو في دعوته.

كلّ ذلك لا يستوي عند الله، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ إذا كثُر أولئك فَلَنَنْتَعَزَّ بقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال جل وعلا في وصف من آمن مع نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

والطيب هو الذي باركه الله -جلّ وعلا- ويرفعه وينميه ويزكيه؛ لأن الله -جلّ وعلا- طيب لا يحب إلا طيباً.

كذلك الطيب من المال، والخبيث من المال لا يستويان، فالطيب من الأموال وإن قلّ فمآله إلى بركة مآله إلى خير، بعض الناس تضيق عليه سبل الكسب فلا يجد إلا قليلاً طيباً فليفرح بذلك الطيب القليل؛ لأنّ معه بركة الله -جلّ وعلا-، لأنّ معه أن يكون نماء جسده ونماء دمه ونماء جسده وأولاده من أموال

طَيِّبَةً يَجْبِهَا اللَّهُ، فإذا رفع ذلك الذي تحرَّى المال الطيب يديه إلى الله كان حرِّياً بأن تُقبل دعوته، كان حرِّياً بأن يجيبه الله جل وعلا.

وكذلك لا يستوي هذا الرجل وذلك الآخر الذي ترى في عزٍّ وفي مال وفير؛ يتنوع في الملابس ويتنوع في المراكز وهي ليست من مال حلال، إنما هي إما من رِشوة وإما من ربا وإما من غش وإما من خيانة لأموال المسلمين.

فلا يستوون عند الله، لا يستوون أبداً، فذلك وإن كثر ماله فإنما هو مال خبيث، ماله وبال عليه في هذه الدنيا وفي الآخرة، وإذا غُذِيَ به جسده فإنه متوعد بأن لا يجيب الله دعوته، ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ ذكر الرجل يمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك».^(١)

إنَّ الله - جل جلاله - طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال جل جلاله **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** ﴿المؤمنون: ٥١﴾.

نعم -أيها المؤمنون- لا يستوي الخبيث والطيب؛ لا في القول، ولا في العمل، ولا في الذوات، ولا في المال؛ ولكن الشأن كل الشأن من يروم ربه جل وعلا، من يُخلص لربه، من يروم جنة الله، من يروم دار الخلد ودار الكرامة ودار الطيبين، فيصبر على أن لا يقول إلا طيباً، ولا يعمل إلا طيباً، ولا يكسب إلا طيباً، فإن ذلك يحتاج إلى صبر ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿الزمر: ١٠﴾.

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى أن يجعلني وإياكم من الذين طابت أقوالهم وأعمالهم وطابوا ذاتاً ونفساً.

اللهم اجعلنا وذرائنا ومن نحبّ من الطيبين المطيبين الذين رضيت أقوالهم ورضيت أعمالهم، واسمع قول الله جل وعلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم (١٠١٥).

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، أثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله - عز وجل - عليكم بتقوى الله فإن بالتقوى فخاركم وسعادتكم ورفعتمكم في هذه الدنيا وفي الدار والأخرى.

أيها المؤمنون لا يستوي الطيبون من الذرية، لا يستوي الطيبون من الأولاد، وأولئك الخبثاء من الأولاد، تجدد الطيب من الأولاد باراً بوالديه، قريباً من والديه، يسعى في خدمتهما، يسعى في إرضائهما ممثلاً به ذلك أمر الله - جل وعلا - حيث قال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، لا يذكر من القول إلا القول الكريم الذي هو أحسن الأقوال، لا يجابه والده ولا أمه، وكل منها له أعظم الحق، أعظم حق البشر للبشر، فإذا كان كذلك كان المؤمن الطيب ساعياً في أحسن القول، ساعياً في أحسن العمل، أولئك هم الطيبون من الأولاد، الطيبون من الذرية؛ الذين يرومون إرضاء والديهم بأنواع ما يرضونهم به مما هو في طاعة الله جل وعلا.

هل يستوون مع أولئك الذين خبثت ذواتهم بأن وكلوا في أنفسهم وتسلط الشيطان عليهم، ولم يتوبوا إلى الله، فتجدهم عاقين بوالديهم، عاقين بأمهاتهم، يدخلون البيوت ولا يكونون إلا أشر القوم، ويخرجون وهم لا يعينون والديهم لا في أمر صغير ولا كبير، تبعثهم على والديهم كبيرة، إذا تكلموا تكلموا بالحنى، يفرطون في واجبات الله؛ لا يؤدون الصلاة، وآباؤهم وأمهاتهم قلوبهم في حسرة على أولئك وعلى تلك الذرية، أولئك عليهم أن يتخلّصوا من ذلك الخبث الذي جعله الشيطان في أنفسهم، وأن يكونوا طيبين مع آبائهم طيبين مع أمهاتهم أعظم الطيب ابتغاء لوجه الله - جل وعلا - ثم إرضاء لوالديهم، فكما تدين ثندان.

كذلك بعض الآباء طيب في معاملته مع أولاده إذا عملوا أمراً يقره الشرع ساعدهم على ذلك وحبب إليهم ذلك، وآخرون ليسوا كذاك؛ بل هم في وجه المطيعين من أبنائهم يصدونهم عن الطاعة ويحبسون

إليهم بطريق ظاهرة أو بطريق خفية يحبون إليهم أن يبتعدوا عن الطاعة، وأولئك عليهم أن يخافوا الله - جل وعلا- من سوء الخاتمة، وبأن يُحشروا مع الذين لا يَسُرُّ العبد أن يحشر معهم. ذلك -أيها المؤمنون- أمر عظيم يجب علينا أن نتنبه له، وأن نكون آباءً كُنَّا -أو أولاداً- أن نكون طيبين ساعين في ذلك بكل ما نستطيع.

اللهم واجعلنا كذلك، وباعد بيننا وبين كل أمر لا تحبه ولا ترضاه.

عباد الله، إن الله -جل جلاله- أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واهزم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد.

اللهم واجعل ولايتنا لمن خافك واتقاك واتبع رضاك وحكم بشرعك، يا أكرم الأكرمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم نسألك آمنا وإيماناً.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا بخاصة وعن سائر بلادنا بعامة يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك صلاحاً بنا جميعاً لا يغادر منا أحداً رجلاً ونساءً، صغاراً وكباراً، علماءً وولاةً، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، أذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة عداوة أهل الشرك

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، بشر وأنذر؛ بشر بالجنة وأنذر من النار، بشر أهل اليقظة والعمل، وأنذر أهل الخدور والغفلة، بشر المتيقظين العاملين بدار الجنة بدار الخلد والنعيم، وبشر أهل الخدور والكسل والغفلة بأن لهم النار، بشر عليه الصَّلَاة والسلام فطوبى لمن قبل بشارته، وأنذر، فخسرا لمن لم يأخذ بإنذاره ولم يرفع به رأساً، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التَّقوى.

عباد الله إنَّ المتأمل المتدبر الناظر في تاريخ الإسلام منذ بعثة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى يومنا هذا ليجد أمامه حقيقة واضحة لا مجادلة فيها ولا ارتياب، وهي أن أهل الشرك -الذين هم حزب الشيطان وجنود الشيطان- يتواصون ويتتابعون أولهم وآخرهم على السعي في إطفاء نور الله، وعلى السَّعي في بسط اليد واللسان في رد هذا الدِّين وفي إضعاف قناعة أهله به:

تارة ببسط الحرب باليد.

وتارة ببسط الحرب بالمال.

وتارة باللسان بما يُلقون من تشويهات وبما يشوِّهون به الإسلام حتى لا يدخل فيه الدَّاخِلون وحتى لا يثبت عليه من اقتنع به واعتنقه.

ففي الأمر الأول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وُوجِهَ بأنواع من الحرب: قيل إنه شاعر. وقيل إنه كاهن. وقيل إنه صابئ عَلَيْهِ الصَّلَاة والسلام.

وذلك من المشركين؛ لكي يُبعدوا الناس عن الاقتناع بالإسلام، لكي يبعدوا الناس عن الدِّينونة لله بالإسلام بالتوحيد له ونبد الشرك والطواغيت والأوثان.

كل ذلك منهم تتابعوا عليه أولهم وآخرهم من بعثة نوح عليه السلام إلى بعثة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك كل رسول يأتي قومه وقومه يصدونه ويصدون عن الدين برميهم له بالألقاب، ورميهم له ببعض ما يصد الناس عنه، وبالتكذيب، وبأنواع الإيذاء، قال جل وعلا: ﴿أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

تنوّعت الحرب على المؤمنين في مكة: تارة بتلك الشبهات، وتارة بالشبهات، فقد عُرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يكون ملكا لو أراد. أن يكون غنيا لو أراد. أن يكون مزوجا بأحسن الحسنيات لو أراد.

ولكن كل ذلك لم يقبل به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنه إنما أرسل بشيرا ونذيرا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، فإنما أرسل بالجنة يبشر بها، أرسل بالنار ينذر ويخوف بها، ويصد الناس عن التساقط فيما يؤدي إليها.

لم يكن هم الرسل أن يتملكوا، ولا أن يغتنوا، ولا أن يسألوا الناس أجرا، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** (٨٧) **وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** [ص: ٨٦-٨٨]. أؤدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأذى الحسي، ورُمي بالحجارة، وسُكب على ظهره سلا الجزور وهو يصلي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأؤدي المؤمنون من حوله أشد الإيذاء، حتى إن صحابة رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهم الصفوة الخالص - شكوا إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما يلقون من أذى المشركين فبلغهم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بالسنة الماضية أن من كان قبلهم كان يؤخذ أحدهم فيُنشر بالمنشار ما بين جلده وعظمه لا يصدّه ذلك عن دينه، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**وَلْيَتَمَنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الضعينة من مكة إلى صنعاء لا تخشى إلا الله**))، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**ولكنكم قوم تستعجلون**)).^(١)

حارب المشركون المؤمنين في مكة بالحرب المالية، فحُوصروا في شعب أبي طالب، الحصار المعروف المشهور، حتى كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصحبه يأكلون الجلود البالية ويأكلون خبَطَ الشجر ويأكلون الورق؛ لأنهم لا يجدون شيئا، حتى فرّج الله لهم.

(١) البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: (٣٦١٢).

ولما كان من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - البحث عن ناصر له، وذهب إلى الطائف أودى أشد الإيذاء حتى لحقه السفهاء والصبيان يرمونه بالحجارة، حتى أدميت قدما رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والنبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يخاطب ربه ويسأل ربه داعيا يقول: **((إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبُ عَلِيٍّ فَلَا أَبَايَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى؛ وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعَ لِي))** ^(١) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

كذلك - أيها المؤمنون - لما هاجر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى المدينة ولقيه الأنصار من الأوس والخزرج كانت هناك يهود ونبتت هناك نابتة المنافقين في داخل الدولة المسلمة وفي داخل المدينة المنورة؛ نبتت تلك النابتة تُعادي الإسلام وأهله من داخل الصف، تعادي الإسلام وأهله من داخل الدولة وفيهم اليهود، وأولئك المنافقون يوالون اليهود، فاليهود أعداء ظاهرة عداوتهم، والمنافقون أعداء خفية عداوتهم، وبعضهم أولياء بعض، **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾** [الأنفال: ٧٣].

أنزل الله - جل وعلا - القرآن يبين للمؤمنين أعداءهم، من ذلك الوقت إلى يومنا هذا الأعداء هم الأعداء، فبين - جل وعلا - أن المشركين أنهم لنا أعداء، قال جل وعلا: **﴿إِنْ يَتَّقِفُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** [المتحنة: ٢].

وَيَدْخُلُ فِي الْمَشْرِكِينَ كُلُّ مِلَّةٍ الشَّرِكِ الَّتِي كَانَتْ وَالَّتِي هِيَ مَوْجُودَةُ الْيَوْمِ مِمَّنْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ - جل وعلا -، كلهم أعداء للمؤمنين، أعداء للرسالة، أعداء للقرآن، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾** [النساء: ٤٥].

اليهود لنا أعداء والنصارى لنا أعداء، ليس ذلك من استنتاج العلماء؛ ولكنه خبر من السماء، خبر من الله الذي يعلم السر وأخفى.

فاليهود والنصارى لا يفتنون في عداوتهم للمؤمنين أن يتربصوا بهم السوء، ويعملوا لهم كل غائلة ودائرة، حتى تحيط بهم من ورائهم، ومن داخل صفهم.

بين - جل وعلا - أنهم يُظهرون لنا العداوة وما تُخفي صدورهم أكبر.

وهكذا لما توفي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلخصت العداوة من أعداء الله للمؤمنين في أولئك الأصناف في تلك الفئات: المشركون والمنافقون واليهود والنصارى.

(١) السلسلة الصعيفة للشيخ الألباني برقم (٢٩٣٣)، وقال: رواه الطبراني في المعجم الكبير واعين عدي.

أولئكم هم أعداء الإسلام، أولئكم هم أعداء أمة الإسلام، أولئكم هم أعداء توحيد الله، أولئكم هم الذين يدعون إلى الشرك، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢٠]، هذا خبر الله جلّ وعلا.

هذا الأصل -أيها المؤمنون- مهما اختلف الزمان وتنوّعت الأحوال، هذا أصل أصيل، بينه الله -جل وعلا- في كتابه ودلت عليه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا الأصل يسميه أهل العلم **الولاء والبراء**؛ لأن أصل الإسلام الولاء للإيمان والبراء من الشرك، محبة الإيمان؛ محبة التوحيد، وبُغض الشرك وبُغض الكفر، ويتبع ذلك محبة المؤمنين، يتبع ذلك محبة المؤمنين وبُغض المشركين، هذا مهما اختلف الزمان، فيبقى ما أخبر الله هو الحق، قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [النساء: ٤٥]، فلمّا كان القرآن قد انقضى تزوّله انقضى تزويله بقي خبره محكما في ذلك إلى قيام الساعة، الأعداء هم الأعداء، لا يمكن أن يكونوا أحبة في يوم ما؛ إذ الله -جلّ وعلا- هو الذي أخبر بعداوة أولئك جميعا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْنِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]؛ يعني: لا تتولّوهم ولا تتخذوهم أولياء، لا تتخذوهم أنصارا، لا تتخذوهم أحبة، وإنما اتّخذوا المؤمنين أحبة؛ لأنّ عقد الإيمان هو الذي جعل تلك الولاية بين المؤمنين أكمل ما تكون؛ لأنّها في الله ولله وفي دين الله، ورابطة الإسلام أقوى من كل رابطة، ورابطة الإيمان فوق كل رابطة.

إذا تنوّعت الحرب على المسلمين أو على الإسلام فلنقل جميعا: إن ذلك أخبر الله -جل وعلا- به في كتابه.

وإذا كان الأمر كذلك فليس محالا للاجتهاد، ليس محالا للتفكير، ليس محالا للعقليات إنما هو خبر محكم أن كل مشرك بشركه عدو للإسلام وعدو لأهل الإسلام؛ لكن الكفار على قسمين:

• منهم من يُظهر عداوته للإسلام.

• ومنهم من لا يظهر عداوته، وإنما يخفيها.

ومنهم فئة قليلة إنما يسعون لمصالحهم، ليسوا بمتمحمسين لدينهم، ليسوا بمتمحمسين للملهم، ليسوا منافحين عن كفرهم ودياناتهم.

فإذن هناك من يظهر العدا في أنحاء شتى تارة بالنيل من المؤمنين، من المسلمين، بقتلهم أو تشريدهم في شتى البقاع التي يتسلّط فيها أعداء الإسلام.

وهذا ظاهر متمثل فيما حدث في الأسابيع الماضية؛ بل في السنوات الماضية؛ بل في القرون الماضية.

وهذا ظاهر متمثل أيضا فيما ترون وتسمعون كل حين في هذه الأيام وفيما تستقبلون وإن لله وإن إليه راجعون.

ومنهم - وهم الأخطر والأشد - الذين تخفى عداوتهم الذين هم إما منافقون وإما من هم من جنس المنافقين في إخفاء العداوة، يخفونها ويصلون إلى النيل من الإسلام وأهله ومن التوحيد وأهله، يصلون إلى ذلك بأنواع شتى من الحيل والمكر والكيد لا تظهر لكثيرين، يغطونها تارة بأنواع من الإعلام لا يظهر للناس أن في طياتها، وفي خيلها عداوة للإسلام وأهله، وهذا لأن بعض أولئك لهم من الذكاء والفطنة ما يعلمون أن إشعال الحرب على الإسلام بصراحة في هذه السنين لا يصلح؛ بل لا يصلح إلا التجسس في حرب الإسلام وأهله.

وهذا - أيها المؤمنون - يجب أن يكون واضحا تمام الوضوح أمام المؤمنين في أعينهم وقلوبهم، حتى لا نحتاج معه إذا حدث حدث في كل أسبوع أو في كل شهر أو ما بعد ذلك لا نحتاج إلى بيان ذلك تكرارا ومرارا؛ فننشغل عن بيان أصول من أصول الإسلام أخرى، فإذا استمسكنا بهذا الأصل دائما كان ذلك معنا كالميزان والقسطاس الذي لا يخفى، والذي لا يزل معه فهم، ولا يختلط معه عقل وفكر، ولا يضل معه قلب مؤمن.

أسأل الله - جل وعلا - لي ولكم البصيرة في القلوب.

أسأل الله لي ولكم أن يجعل في قلوبنا محبة للإيمان وأهله، محبة لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ولدينه فوق محبتنا لكل شيء.

أسأل الله لي ولكم أن يجعل يقيننا بالإسلام، أن يجعل يقيننا بما أخبر الله في القرآن، لا يقبل شكاً، ولا يعرض له ريب، إنه الذي قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه.

واسمعوا قول الله - جل وعلا - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَقَفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢)﴾ [المتحنة: ١-٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقا وتوبوا إليه صدقا إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، بشرّ وأندر، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين. أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى فوزكم وفلاحكم ورفعتمكم في الدنيا والأخرى.

عباد الله، إن الكفار والمشركين الذين يعيشون في دار الإسلام لهم حكمان:

أما الأول: فهم إن أظهروا عداوتهم للإسلام، إن أظهروا عداوتهم للمسلمين فهؤلاء يجب على المؤمنين أن يُظهروا لهم العداوة وأن يبارزوه. بمثل ما بارزوا به، وأن يسعوا في إخراجهم عن دار الإسلام حتى لا يُضِلُّوا وحتى لا تكون فتنة.

الصنف الآخر: فهم الذين لم تظهر منهم عداوة، وإنما حالهم ليست بظاهرة، حالهم في السعي في مصالحهم، حالهم أنهم لم يبارزوا المسلمين بإيذاءٍ بقول أو بعمل، حالهم أنهم لم يؤذوا المؤمنين، فهؤلاء حكمهم أنهم يعاملون بالعدل في الظاهر؛ لأن الله -جل وعلا- قال في محكم التنزيل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [المتحنة: ٨-٩]، أخبر الله جل وعلا أن من لم يُظهر لنا العداوة فإننا نعامله بالعدل، نعامله بالقسط، نعامله بما أمر الله -جل وعلا- أن نعامله به، لم ينهنا الله -جل وعلا- أن نُقسط إليه، فلا يجوز أن نبارزه بالعداوة ما دام لم يُظهر لنا العداوة، لا يجوز أن نؤذيه ما دام أنه لم يؤذِ المؤمنين ولم يُظهر عيياً للإسلام ولم يظهر قدحاً فيه ولا في أهله.

فهذا الأمر بالعدل أمر عظيم من أصول الإسلام ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]، فالعدل للجميع -للمؤمن وغير المؤمن- أمر

واجب، والبغي منهى عنه محرم سواء كان على المؤمنين أم كان على غير المؤمنين ممن لم يُظهروا عداوة للإسلام وأهله.

فهذا يتبين الأمر ويتكامل الحكم في ذهن كل واحد منا يتبين حكم الشرع لأن:

• منا من يجفو فيحسن إلى المشركين ولا يبغضهم، ولا يُظهر لهم العداوة مع أنهم يظهرون لنا العداوة.

• وآخرون يغلون فيعلمون من لم تظهر منه العداوة بالجفاء والغلظة.

والله - جل وعلا - بين لنا حكم هؤلاء وحكم هؤلاء، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)﴾ [الأنعام: ٥٧].

واعلموا رحمي الله وإياكم أن الله جل جلاله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى الآل والصحب والآل، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واهم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لتكون كلمة الله هي العليا، اللهم أمدِّهم بمدد من عندك، وانصرهم وقوهم وأعزهم يا قوي عزيز.

اللهم أمتنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ودلهم على الرشاد وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك صلاحا فينا جميعا، لا يغادر منا أحدا رجلا ونساء، صغارا وكبارا، علماء وولاة، وأنت مجيب السائلين.

عباد الرحمن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، أذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه عن النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

غية العلماء

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يهدون من ضلّ إلى الهدى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويصرون الناس من العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحياه العلماء، وكم من ضالّ تائه قد هداه العلماء، فما أحسن أثر العلماء على الناس، وما أقبح أثر الناس على العلماء، ينفون عن دين الله تحريف الجاهلين، وتأويل المبطلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، واختلفوا في الكتاب وخالفوا الكتاب، وشاقوا الكتاب والسنة.

فهدى الله الناس بالعلماء؛ لأنّ العلماء ورثة الأنبياء.

الحمد لله، الذي له الحمد كله، والذي جعل علماء هذه الأمة خير الناس، كما أنّه جعل صحابة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير هذه الأمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه خليله، نشهد أنه لا خير إلا دلّ الأمة عليه، ولا شرّ إلا حذّرها منه، فصلى الله على نبينا محمد كفاء ما أرشد، وكفاء ما بيّن، وكفاء ما علّم، وكفاء ما دلّ إلى الطريق المستقيم، وكفاء ما بيّن من طرق الضلالة والغواية، وصلى الله على آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله يحاسب المرء ممّا في ذلك اليوم العظيم على لسانه وعلى جوارحه وعلى فرجه وعلى قلبه، يحاسب على كل ما عمل، وعلى كل ما نطق به، وعلى كل ما عقد قلبه، وكل شيء في ذلك اليوم سيُعرض عليك من عمل، إن كان خيراً وإن كان شراً، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

أيها المؤمن، إن الله جلّ جلاله عظم في كتابه شأن العلماء، شأن علماء الدّين؛ لأنهم الذين حملوا في صدورهم كتاب الله -جل وعلا- وسنة رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم بيّنوا ذلك للناس فرفع الله المؤمنين بالله ورسوله رفعهم درجات، وجعل أرفع المؤمنين درجات أهل العلم ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فأهل العلم هم أرفع هذه الأمة درجات، فصحابة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً هم درجات، وأرفعهم علماًؤهم، والعشرة المبشرون بالجنة هم أرفع أولئك.

وصحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جعلهم الله خير هذه الأمة؛ لأنه رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، ومع ذلك مع ثناء الله - جل وعلا - على صحابة رسوله الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقوله في شأنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، ومع ما أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومع ما أثنى الله عليهم في آيات كثيرة، فقد ظهر أناس في زمن الصحابة يضللون الصحابة، ويرون أن ما هم عليه ليس بحق؛ بل كفروا بعضا منهم؛ لأنهم رأوا أنهم لم يحملوا دين الله وأنهم فرطوا في الدين وأنهم رضوا بالدنيا عن الآخرة، وأنهم حكّموا الرجال في دين الله، ورضوا بغير كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضلّت الأمة من وقع في الصحابة، ثم أجمع المسلمون من أهل السنة والجماعة على أن من ذكر الصحابة أو ذكر علماء هذه الأمة بغير خير فإنه على غير السبيل؛ يعني على غير سبيل أهل السنة والجماعة؛ لأنّ علماء هذه الأمة هم الذين ورثوا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورثوا أقواله وورثوا القرآن، وورثوا السنة، وورثوا أفعال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونقلوها إلى الناس، فمن طعن في الصحابة فإنه يطعن في الدين؛ لأنّ الصحابة هم الذين نقلوا الشريعة، وهم الذين بلّغوها إلى الناس، فإذا طعن فيهم رجع النقل إلى من طعن الشرع، وهذه من أكبر وسائل الملحدّين في الطعن في الإسلام أنهم يقولون: إن الصحابة مطعون فيهم، وكيف يُرضى في نقل الشريعة بنقل من طعن فيه، ومن قتل وعمل، ومن ارتكب بعض المعاصي، ومن قاتل لأجل الدنيا.. ونحو ذلك من الأمور التي أجمع العلماء، وأجمعت الأمة على تضليل من قال بذلك.

كذلك لما توالى الزمان طعن أناس كثيرون في أئمة أهل السنة وفي أئمة أهل الحديث، طعنوا فيهم، تارة بعدم معرفتهم بالدنيا، وتارة بأنهم يدخلون على الولاة، وتارة بأنهم لا يفقهون إلا النصوص ولا يعلمون العقلية، وتارة.. وتارة.. والغرض من ذلك كله أن يطعنوا في العلماء، وإذا طعن في أهل العلم طعن في الشريعة؛ لأنّ الشريعة إنما يبينها أهل العلم، يبينون كتاب الله ومعانيه، ويبينون السنة ومعانيها، فمن طعن في أهل العلم رجع طعنه - إن كان مريدا أو غير قاصد - رجع الطعن إلى الشريعة؛ لأنّ الشريعة إنما يبلغها هؤلاء العلماء الذين ورثوا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهادته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حين

قال: ((إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر))^(١) العلماء ورثة الأنبياء، فالطعن فيهم حقيقته أنه راجع إلى الطعن في الشريعة.

وإنَّ الطعن في العلماء وتشويه سمعة العلماء -بحق أو بغير حق- عند العامة إنَّ ذلك يورث الشك فيهم، وإذا أورث الشك في أهل العلم رجع ذلك إلى عدم الثقة بأقوالهم، وعدم الثقة بالعقيدة التي ينشرونها، وعدم الثقة ببياناتهم للكتاب وبياناتهم للسنة، وعدم الثقة ببياناتهم للفتاوى المعاصرة، وللنوازل الحاضرة التي تجدُّ بأحوال المؤمنين، وما يجد في أحوالهم أفراداً وجماعات، وإذا نُزعت الثقة تسلَّط الجهال، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

أيها المؤمنون، إن الله -جل جلاله- لما رفع منزلة العلماء جعل غيبة كل المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب فإن الله -جل جلاله- قال: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، فجعل الغيبة من جنس أكل الميتة، وأكل الميتة كبيرة من الكبائر، فهكذا الغيبة كبيرة من الكبائر، وتعظم الغيبة إذا كان المغتاب صحابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أو إذا كان المغتاب العلماء الذين يعلمون الكتاب والسنة ويصرون أهل العمى، وينصرون السنة بالاعتقاد والعمل، تعظم الغيبة وتكبر الكبيرة، وإذا كانت الغيبة تلك كبيرة.

فمن ذكر العالم بغير ما يرضى فإنه قد اغتابه، وإذا اغتابه فإنه قد ارتكب تلك الكبيرة والني -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى عن الغيبة، نهى عن الغيبة ثم سئل عنها: ما الغيبة؟ فقال: ((ذكرك أخاك بما يكره)) قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: ((إن كان فيه ما تقول فقد اغتابته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته))^(٢)، والبهتان أعظم من الغيبة، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إن الغيبة إذا كانت كبيرة من كبائر الذنوب فمن مارسها بين الصلوات، فإن الصلاة إلى الصلاة ليست مكفرة لما بينهما؛ لأنَّ من شرط تكفير الذنوب أن تُجتنب الكبائر، فمن أصرَّ على هذه الكبيرة

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢) .

سنن ابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، حديث رقم (٢٥٨٩).

ولم يستغفر ولم يتب ولم يُنب إلى ربه، فإن صغيرته لا تكفرها الصلاة ولا يكفرها الصيام ولا تكفرها الجمعة ولا تكفرها العمرة ولا يكفرها الحج، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، فشرط تعالى لتكفير السيئات أن تُجتنب الكبائر، وكذلك قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر))، وفي لفظ: ((ما لم تغش كبيرة))، وكذلك قال: ((رمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر)).^(١)

فهذا الذي وقع في الغيبة بذكره أخاه بما يكره، إن كان في أخيه ما يقول، وإن كان في أهل العلم ما يقول، فقد ارتكب تلك الكبيرة، وإن كان ما يذكر كذبا وبهتاناً، إن كان ما يذكر زورا وإفكا، فإن مصيبته وكبيرته أعظم، وصلاته إلى صلاته ليست مكفرة لما يرتكبه من الذنوب؛ بل تجتمع عليه الذنوب إن لم يشأ الله أن يغفر له في الآخرة، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الصحيح الذي يصف فيه الذنوب ويصف فيه صغارها بله الكبار يقول: ((كمثل قوم تفرقوا في واد فأتى هَذَا بعود صغير وأتى ذاك بعود وأتى الثالث بعود فجمعوه تحت قدرهم فأنضجوا قديرهم)) يعني ما بداخل القدر ((وهكذا الذنوب قهلك صاحبها)).^(٢)

أيها المؤمن، إن الله رحمك بأن جعل صلاتك إلى صلاتك مكفرة لما بينهما فإنك إذا ارتكبت تلك الكبيرة من الغيبة والبهتان، أو من الكذب على أهل العلم، فإنك على خطر عظيم فالنجاة النجاة، النجاة، وإيانا وسبيل المبطلين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون ويرتكبون النهي مع علمهم بذلك، ويطعنون في أهل العلم، ويعلمون أنهم هم خيرة أهل الأرض بما يحملون في صدورهم من القرآن من كلام الله، ومن كلام المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا تحدثوا تردد في أنفاسهم كلام الملك العليّ العظيم، وإذا تحدثوا تردد مع أنفاسهم كلام المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كأنه حي حاضر يحدثنا، يفقهوننا، ويعلمون الجاهل، ويفتون، ويعلم الناس أثرهم إذا قام الأشهاد يوم القيامة من أخذ من عالم كلمة فاهتدى بها فنفعته في دينه فإنه سيعلم عظم أثرها يوم القيامة.

(١) مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... حديث رقم (٢٣٣).

(٢) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحزمة الزين)، حديث رقم (٢٢٧٠٧)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٣٨٩).

فكيف يكذب المبطلون على أهل العلم، وكيف ييهت المبطلون أهل العلم، وكيف يغتاب الناس أهل العلم، وهم خيرة الله في أرضه ومن ذكرهم بغير خير فهو على غير السبيل.

إن الكذب على أهل العلم كبيرة من الكبائر، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يرى أنه كذب فهو أَحَدُ الكاذِبِينَ)) وفي ضبط ((فهو أحد الكاذِبِينَ))، ^(١) وقد قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، فالكذب في هذا الزمان راج، ونتج عن الكذب الغيبة والبهتان، ونتج عن ذلك أمور كثيرة فشت في الناس.

أيها المؤمن، إن إيمانك يعصمك من ارتكاب الزنا، إن إيمانك يعصمك بإذن الله وتوفيقه من ارتكاب شرب الخمر، ومن أكل الربا، ومن السرقة، ومن الموبقات ومن الشرك بالله، ومن السحر ومن التولي يوم الزحف، ومن قذف المحصنات الغافلات، وهذه يجتمع المؤمنون على إنكارها وعلى بغضها؛ ولكن هل عصمك إيمانك من الغيبة؟ هل عصمك إيمانك من الكذب؟ هل عصمك من البهتان؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله: إنه يكثر في الصالحين أن يجتنبوا الزنا وشرب الخمر، ولكنهم يقعون في كبائر الذنوب باللسان من الغيبة ونحوها. ومن كبائر الذنوب في القلب من العجب والكبر ونحو ذلك.

وهذا الذي قاله صحيح لأن الكبائر متنوعة، والله - جل جلاله - جهل من اللسان كبيرة، وقد سأل معاذ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال له: ((كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا))، قال معاذ: يا رسول الله؛ وإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: ((ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى وُجُوهِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))، ^(٢) فماذا يقول أولئك الذين اجتمعوا في المجالس فأخذوا يغتابون هذا العالم، ويغتتابون ذاك، ويقذفون القاضي هذا ويقذفون القاضي ذاك، ولا يرعوا للشرع حرمة، ولا يرعوا لما في صدور العلماء من كلام الله وسنة رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمة، ولا يرعوا للعقيدة الصحيحة التي يبلغها أهل العلم وينشرونها حرمة، ويرتكبون هذه الكبيرة بذكرهم العلماء بما

(١) مسلم: مقدمة صحيح، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦).

سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

يكرهون، ومع ذلك يأنسون، وكأنهم على طاعة وكأنهم في طواف أو في تلاوة قرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم نسألك سؤال ملح يرجو الإجابة، أن تجعل ألسنتنا عفيفة، اللهم اجعل ألسنتنا عفيفة، وقلوبنا محبة للمؤمنين، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا اجعلنا ممن يتكلم بالخير. اللهم اجعلنا ممن ينطق إذا نطق بالخير، ونعوذ بك من لسانك يؤول بنا إلى النار، نعوذ بك اللهم من لسان يؤول بنا إلى النار.

واسمعوا لقول الله - جل وعلا - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه من قلوبكم حقاً، وتوبوا إليه صدقاً، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق الحمد وأثنائه وأجله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد.

اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى الفخار والرفعة؛ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ يعني قد حققتم إسلامكم ظاهراً وباطناً.

هَذَا واعلموا رحماني الله وإياكم أن الله جل جلاله أمركم بالصلاة على نبيه فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن

الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنّا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واهزم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.
اللهم أنصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم أيدهم بتأييدك وانصرهم بنصرك وقوّهم بقوتك وأعزهم فأنت القوي العزيز.

اللهم ارفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أكرم الأكرمين.

اللهم نسألك سؤال مُلِحٍّ يريد الإجابة ويطمع فيها ويخاف ذنوبه، نسألك أن تغفر لنا أجمعين، اللهم اغفر لنا أجمعين.

اللهم لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح بها ترضى عنا، وأنت أرحم الراحمين وأجود الأجودين.
عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أحمدُه سبحانه خلق الجنة داراً طيبة وجعلها للطيبين، وخلق النار داراً خبيثة وجعلها للخبيثين.

فالحمد لله على حكمته وعلى عدله، والحمد لله على فضله وبره وفضله وإحسانه بأوليائه، فهو المحمود على كل حال، وهو المحمود الذي بنعمته تتم الصالحات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا بعده على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك، تركنا وقد أوضح لنا كل خير، وقد نهانا عن أصول الشر، فله عليه الصلاة والسلام منا الدعاء، والصلاة عليه أول النهار وآخره.

اللهم فصل عليه كفاء ما أرشد وعلم وجاهد، اللهم صل وسلم عليه ما تتابع الليل والنهار، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد كلما صلى عليه المصلون وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

واعلموا رحمي الله وإياكم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، طيب يحب الطيبين، طيب خلق الجنة وجعلها داراً طيبة، وجعلها مأوى للطيبين، طيب -جل وعلا- يحب الطيب والطيب من الأقوال ويحب الطيب من الأفعال ويحب الطيب في الكسب ويحب الطيب في التصرفات، والخبيث يكرهه -جل وعلا- من الأشخاص ومن الأحوال ومن الأقوال والأعمال والأموال، ويحب الله -جل وعلا- الطيب في ذلك كله، قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً))^(١) وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٢]، وقال -جل وعلا- أيضاً في سورة المائدة: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، في هذه الآيات

^(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم (١٠١٤).

يبين -جل وعلا- أن الخبيث لا يستوي والطيب، وأنه سبحانه يحب الطيب ويحب الطيبين، وأمر الرسل أن يعملوا صلاحا وأن يأكلوا من الطيبات.

فالخبيث ولو علا مناره، فالخبيث ولو ظهر فإنه لا يساوي الطيب ولا يُوزَن بالطيب ولو كان الطيب قليلا مستخفيا.

فإن الطيب يحبه من برأ السموات والأرض، وإن الخبيث يكرهه من برأ السموات والأرض، وقد قال لنا جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ الخبيث ولو كثر فإنه لا يساوي الطيب. فيكون الخُبث في أشياء:

- يكون الخُبث في الأقوال.
- ويكون الخُبث في الأعمال.
- ويكون الخُبث أيضا في اعتقادات القلوب.
- ويكون الخُبث أيضا في المكاسب.
- ويكون الخُبث أيضا في التصرفات.

وفي مقابل ذلك:

- تكون العقائد طيبة.
- وتكون الأقوال طيبة.
- وتكون الأعمال طيبة.
- وتكون المكاسب طيبة.

فإنه لو أعجب المعجبون كثرة الاعتقاد بالخبيث وظهور بعض أهله، فإنه لا يساوي الاعتقاد الطيب وطيب رفعة أهله؛ لأن الله -جل وعلا- معهم، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ولا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله))^(١)، فالاعتقاد الطيب في الله جل وعلا بأنه سبحانه هو الواحد الأحد في ربوبيته، وهو المستحق أن تتوجه القلوب بالرغبة والرغبة، وأن تتوجه الألسنة إليه بالدعاء والاستغاثة، وبطلب ما عنده، وأن يكون اعتقاد المرء

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، حديث رقم: (١٩٢٠).

بالله أنه -جل وعلا- ذو أسماء الحسنى الكاملة وذو الصفات العلى، ويتعبد الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته، بالتدلل له بأسمائه وصفاته، ومعرفة جل وعلا.

فإن من كانت هذه حاله طابت عقيدته وطاب قلبه، ولا يصدر عن الطيب إلا طيباً؛ لأن تصرفاته إذن ستكون لله، ولأن قوله سيكون لله، ولأن محبته ستكون محبة العبادة لله -جل وعلا-؛ لأنه سبحانه ((طيب لا يقبل إلا طيباً)).

وكذلك أيها المؤمنون، الخبيث من الاعتقادات فإنه خبيث ومأوى أهله إن لم يتوبوا الدار الحبيثة، إما أبداً وإما حيناً، بحسب حالهم من الكفر والبدعة، فإن الله جل وعلا جعل من اعتقد فيه غير الحق خبيثاً خبث قلبه، ولو كثرت جموعهم فإنهم خبيثاء؛ لأنهم ليسوا على الحق، ومن اعتقد في أسماء الله وفي صفاته أنها كأسماء وصفات المخلوق فقد خبث اعتقاده، ومن عطل الرحمن -جل وعلا- عن أن يكون له الأسماء الحسنى على ما دل عليه ظاهرها فقد خبث اعتقاده، وكذلك من عطله على الاتصاف بصفاته وتأول ما ورد في ذلك وأخرجه عن ظاهره، فقد خبث اعتقاده فيكون مبتدعاً بذلك لأنه خالف ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما وصف به ربه؛ بل ترك ما وصف به الجبار -جل وعلا- نفسه العلية.

كذلك من توجه لغير الله بالعبادة بأن توجه إلى ولي صالح أو توجه إلى نبي فسأله أشياء، فسأله أشياء ودعاه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا سألت فاسأل الله))^(١) والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فدعا غير الله فنعلم أنه خبيث خبث اعتقاده حيث جعل لله شريكاً في الدعاء والمسألة، والله سبحانه واحد، والذي يجيب الدعاء هو الواحد الأحد.

فمن توجه لغير الله في أي نوع من أنواع العبادة والدعاء والسؤال فإنه مشرك خبث اعتقاده، فخبث حينئذ قوله وخبث حينئذ عمله، وكذلك من لم يتوكل على الله سبحانه؛ بل جعل الأسباب هي التي تحكم العباد، وأنه إذا عمل عملاً فإنه بجده ونشاطه سيحصل له كسبه وسيحصل له نجاحه، وسواء كان ذلك في الأفراد أو في المجتمعات فإن هذا اعتقاد خبيث؛ لأن الله -جل وعلا- هو ولي النعمة وهو الذي على كل شيء قدير ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، والله سبحانه وتعالى يحب المتوكلين عليه، وعلمنا -جل وعلا- أن الأسباب لا تنفع إلا بإذنه.

(١) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم (٥٩)، حديث رقم (٢٥١٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

فحينئذ صاحب الاعتقاد الخبيث يتكل على الأسباب، وصاحب الاعتقاد الطيب الذي طاب اعتقاده بالله يعمل السبب ثم يفوض أمر الانتفاع بالأسباب إلى الواحد الأحد الذي بيده ملكوت كل شيء. أيها المؤمنون كذلك في الأقوال تنقسم إلى خبيث وطيب، فالذي خبث أقواله ولو كثرت فإنه مكروه لله - جل وعلا - مبغض، وكذلك يكرهه عباد الله المؤمنون الذي إذا نطق نطق بغير الحق، وإذا تكلم كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا تكلم تكلم بالنميمة أو تكلم بالغيبة، لسانه ينطق بأنواع من الخبث لا يرعوي ولا يذكر مقامه بين يدي الله - جل وعلا -؛ بل يتساهل في الأقوال ولا يهتم أن يكون لسانه خبيثاً؛ فهذا من الخبثاء الذين إن لم يغفر الله لهم أو لم يتوبوا فإنهم معرضون لعذاب الله - جل وعلا - ولتطهيرهم في الدار الخبيثة حتى يكونوا طيبين، وهذا أمر صعب شديد.

هل يستوي هذا الذي خبث لسانه مع ذاك الذي طاب لسانه، فإذا تكلم تكلم بذكر الله، أو إذا نطق نطق بالعلم والحق، إذا تكلم صدق، وإذا وعد وفى، وإذا تكلم فإنه يحمي نفسه ويمي عرض المؤمنين من أن ينالوا بسوء هذه الذي طالب قوله وهذا الذي يحبه الله جل وعلا ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَرِغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال لمعاذ: ((ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى وُجُوهِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))^(١) فلا يستوي من طاب لسانه وقوله ومن خبث لسانه وقوله، تراه واقعا بلسانه في أنواع من المحرمات، فصار خبيثا يتعرض للمحرمات بلسانه، وربما صار من جرّاء كلامه أنواع من الفساد وأنواع من صد الناس عن الحق وأنواع من إبعاد الناس من طريق الله - جل وعلا - بأنواع الكلام وأنواع ما يقال في أي مجال من المجالات.

﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ إذا تكلم أهل الحق بكلام طيب فإنه ولو كان ميدانه في الأرض قليلا فإنه الطيب الذي يحبه الله جل وعلا ولا يستوي وكثرة الخبيث ولو أعجبك كثرة الخبيث؛ لأن الخبيث خبيث وإن العاقبة للطيبين.

(١) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦).

سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

كذلك -أيها المؤمنون- في الأعمال لا تستوي الأعمال الطيبة والأعمال الخبيثة، فإن الأعمال الطيبة الصادرة من أهل الإيمان أفرادا كانوا أو مجتمعات إنما طيبة يحبها الله -جل وعلا-، فترى أهل الإيمان يسعون في الطيبات بأعمالهم، جوارحهم في طاعة الله؛ في صلاة، أو في سعي في مرضي الله، أو يتحركون في صلة أرحام، أو في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو في كسب معاش يؤجرون عليه.. أو في نحو ذلك من الأعمال الطيبة، فإنهم يعلمون بالطيب ويتقربون الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. والعمل الطيب هو العمل الصالح في أي ميدان من ميادين الحياة في التكافل الاجتماعي وفي السعي بحاجة المسكين والأرملة والضعفاء والمساكين وفي الأعمال الخيرة العامة لأمة، هذه كلها أعمال طيبة يحبها الله جل وعلا.

وفي مقابل ذلك الأعمال الخبيثة التي لا تصدر إلا عن قلب خبيث كالذين يسعون في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا بأنواع من السعي، وكالذين إذا تكلموا تكلموا في تفريق المؤمنين وكالذين إذا عملوا عملوا في تفريق المؤمنين ولم يتقوا الله في إصلاح ذات البين وفي جمع الكلمة، وكالذين يسهون بأعمالهم في أنواع المحرمات، فإن هؤلاء وإن كثرت أعمالهم وظنوا الناس حسنة، فإنها خبيثة ولا يستوي الخبيث والطيب ولو كثرت الخبيث، كما قال لنا جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

كذلك -أيها المؤمنون- في أنواع الكاسب لا يستوي الكسب الطيب والكسب الخبيث، فدرهم من حلال خير وأكثر بركة وأعظم عائدة وأنجى بين يدي الله من مئآت الألوف أو من ملايين من كسب خبيث محرّم من ربا أو من رشوة أو من غش أو من خيانة أو من أنواع المكاسب المحرمة، فالذي نبت جسمه من حرام فالنار أولى به، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الذي ذكرناه آنفا ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب. ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذّي بالحرام فأنا يستجاب لذلك.^(١) وقد جاء في بعض الآثار الإلهية أن موسى عليه السلام قال لربه جل وعلا: يا رب دعاك بنو إسرائيل فلم تستجب لهم. فقال الله جل وعلا لموسى: يا موسى لقد مدوا إلي أيدياً فتكوا بها الدم الحرام، وأكلوا بها الحرام، وعملوا بها الحرام وأنا أستجيب لهم.

(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم (١٠١٥).

وهذا يبين لك أن الله -جل وعلا- لا يستجيب إلا للطيبين، وأن تخلص العبد من الخبث في أقواله وأعماله ومكاسبه أنه فرض وأنه على العباد أن يسعوا في أن تكون أجسامهم وأجسام أولادهم وأهليهم طيبة حتى إذا دعوا أجيب لهم وحتى إذا سألوا الله -جل وعلا- أعطاهم. أسأل الله الكريم من فضله وكرمه، وأسأله سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يجعلنا من عباده الذين إذا قالوا طابت أقوالهم، وإذا عملوا طابت أعمالهم، وإذا كسبوا طابت مكاسبهم. اللهم نسألك أن تجعلنا من الذين رضيت عنهم فجعلتهم طيبين وآويتهم إلى الدار الطيبة، يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقاً وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله هو الداعي إلى رضوان الله، صلى الله وسلم وبارك وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُّ محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سرركم وعلاانيتكم فعظموا الله واتقوه فإنه سبحانه عليم بأحوالكم ناظر إليكم ثم يجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

اللهم أسألك أن تجعلنا ممن راقبك واتقاك حق تقاتك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله إن الله -جل وعلا- أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته ليدلكم على عظم أمره فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين

الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعن سائر الصحب والآل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك، اللهم أنصر عبادك الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا يا أرحم الراحمين. اللهم قوّهم، اللهم قوّهم وأمددهم بمدد من عندك وكن لهم وكن على أعدائهم يا أرحم الراحمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد يا أرحم الراحمين، اللهم واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى يا أكرم الأكرمين.

اللهم نسألك أن ترفع عن هذه الديار وعن جميع ديار المسلمين، الربا والزنا وأسبأهما، وأن تدفع عنا الزلازل والحن، يا أكرم الأكرمين.

يا من يجبر ولا يجار عليه نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا ومن العذاب والخزي في الآخرة فأجب اللهم، واغفر جمّا.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله بألسنتكم وبأعمالكم يذكركم، واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

من وصايا أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله جعل لهذه الأمة منابر هدى وقدوة صالحة ليقتدي بها الأولون وليقتدي بها الآخرون، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

فالحمد لله على أن أقام لنا الحجة وجعل السبيل واضحة لا لبس فيها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو إله الأولين وإله الآخرين، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ وبشر وأنذر، وتركنا على البيضاء على طريق بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده صلى الله عليه وسلم إلا هالك، فصلى الله وسلم على نبينا محمد تارة أخرى، وصلى الله على نبينا محمد كلما صلى عليه المصلون وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله إن الله -جل جلاله- اختار فيما اختار رجالا صالحين لصحبة محمد عليه الصلاة والسلام، اختارهم وهو -جل وعلا- يختار ما يختار لفضل منه جل وعلا وحكمة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرسة عظيمة تربي عليها الناس فيما بعدهم، تربي عليها التابعون إذ رأوا أفعالهم وأخذوا أقوالهم وتدارسوها، وتربي عليها العلماء والصالحون فيما بعدهم حيث نظروا في أقوالهم أخذوها دروسا وجعلوا يتدبرون ويتأملون فيها.

وليس من عجب أن كان ذلك كذلك لأنهم الصحب الذين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وكان منهم المهاجرون وكان منهم الأنصار، والأنصار كانوا أنصارا لرسول الله جل وعلا نصرُوا دينه لما تخلت عنه عليه الصلاة والسلام قريش وتخلت عنه القبائل فيما حول مكة، فأقبلوا على دين الله ونصروه بألستهم، ونصروه بأعمالهم، ونصروه بسيوفهم وأرواحه، فرضي الله عنهم أجمعين كفاء ما بذلوا وكفاء ما عملوا وكفاء ما أدوا لهذه الأمة ونقلوا دين الله إلى الناس أجمعين.

كان من هؤلاء من وصفهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه حكيم هذه الأمة فيما روي عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من وجه مرسل؛ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((حكيم هذه الأمة أبو الدرداء))^(١) وأبو الدرداء صحابي من الأنصار خزرجي هو عويمر بن زيد بن قيس وقيل عويمر بن عامر، كان عبدا صالحا وكان سيدا من سادات القراء، لم يجمع من الصحابة القرآن كاملا على عهده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا نفر قلائل كان منهم أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.

أسلم أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم بدر بالمدينة، وشهد مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحدا والمشاهد بعدها، ولما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاله يوم أحد وحاله في دفاعه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تفرق عنه الناس قال: ((نعم الفارس عويمر))^(٢).

وكان أبو الدرداء بيتا للحكمة وبيتا للعلم ولهذا ولاه عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قضاء دمشق.

وتوفي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في دمشق في آخر خلافة عثمان.

كان له أصحاب وكان بعض الناس بكلامه لكي يتأثر الناس وكان بعض الناس بعمله بعمل صامت، فجمع في الوعظ وجمع في الهداية بين العمل والقول تأثر الناس بعمله وتأثر الناس بقوله. وإنه لَمِمَّا ينبغي علينا -أيها المؤمنون- أن ننظر في أقوال صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لننظر كيف نقلوا الإسلام قولاً وعملاً إلى الناس بعدهم إلى زماننا، وكل صلاح يُرجى في الناس فإنما يكون بالنظر في حال صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبتدارس أقوالهم والنظر في أعمالهم، ففي النظر في أعمالهم ما يجعل المرء ذا همة قوية في طلب الحق وفي الجهاد والاجتهاد في العمل والعمل وبالنظر إلى أقوالهم يكون المرء في مدرسة وفي تربية يفقدها إذا لم يُقْبَلْ على أولئك الصحابة رضوان الله عليهم يدرس أقوالهم ويتدبرها.

^(١) وهو في ضعيف الجامع حديث رقم (٢٧٣٩).

^(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق مرسلًا.

أبو الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كان ذا حكمة غريبة وكان ذا حكمة بليغة، ولهذا كان ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقول لأصحابه: حدثونا عن العاقلين. قالوا: يا ابن عمر ومن العاقلان؟ قال: معاذ وأبو الدرداء. (١)

معاذ كان من شأنه في الإسلام وفي عمله بالحلل والحرام ما تعلمون. وأما أبو الدرداء فأقواله وأحاديثه في التربية وفي إصلاح النفس والمجتمع كثرت في كتب أهل العلم، ونأخذ منها شيئا ليكون دليلا على غيره لعلنا نتعص كما اتعص أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. حدثونا عن العاقلين معاذ وأبو الدرداء. أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان من أقواله أن قال:

أطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم.

وهذه وصية للأمة جميعا؛ لأن أشرف ما في هذه الأمة العلم، وأي علم؟ العلم بالله جل جلاله، العلم بكتابه وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا هو العلم الذي أمر المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالازدياد منه، قال جل وعلا لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، قال العلماء: لم يأمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو بالازدياد من شيء إلا من العلم. وأهل العلم مرفوعون درجات ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، لهذا أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أطلبوا العلم فإن عجزتم) لأن الناس ليسوا على حد سواء في أن يكونوا طلبة علم ومقبلين على العلم، إن عجزتم عن طلب العلم قال: (فأحبوا أهله) لأن محبة أهل العلم تجعل المحب مع من يحب تجعله يسألهم ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ويكون ذا صلة بهم، إن لم تحصل المحبة قال: (فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم)؛ لأن بغض أهل العلم بغض لصفوة المؤمنين؛ لأن الله جل وعلا أمرنا بمحبة المؤمنين جميعا، قال جل وعلا ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، يعني بعضهم يحب بعضا وينصر بعضا وأولى أهل الإيمان بالمحبة أكثرهم خشية وأكثرهم علما؛ لهذا قال: (فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم).

وأي جناية -أيها المؤمن- تجنيها على نفسك إذا أبغضت أهل العلم، وكيف يكون بُغضهم؟

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٢٢٦) من طريق خالد بن معدان.

يكون بأشياء: إما بمسبتهم، وإما بنقدهم، وإما بأن تكون وقاعا فيهم تارة بحق وتارة بباطل. أهل العلم ليسوا كاملين معصومين؛ لكن إن رأيت فيهم نقصا فإشاعة النقص في الناس يعني أن لا يأخذ الناس من أهل العلم، فإن ترك الناس أهل العلم لا يأخذون منهم فمعنى ذلك الجناية على أخذ الشريعة، فممن يأخذ الناس الشريعة إن لم يأخذوها من أهل العلم، لهذا جاءت وصية أبي الدرداء عويمر بن عامر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقول لك (أطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبهم فلا تبغضوهم) ليبقى في القلب ليبقى في القلب إجلال أهل العلم الذين كلاً صدورهم كتاب الله والعلم بسنة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضاً من أقوال أبي الدرداء أنه قال لأصحابه يوماً:

إني لأمركم بالخير، وما كل ما أمرتكم به فعلته؛ ولكني أرجو الأجر بأمركم.

وهذا من الفقه العظيم في دين الله، وليس من أنه يأمر ولا يفعل؛ الذي ذم، ولكن العبد المؤمن يجمع في أمثاله في الشرع بين امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهو عليه أن يأمر بالخير وعليه أن يمتثل للخير، فإن فاته أحدهما فلا يجوز له أن يفوت الآخر، لهذا قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله إمام دار الهجرة: ما كل ما نأمركم به نفعله، ولو تركنا الأمر لأجل عدم الفعل ما أمرناكم إلا بالقليل.

هل معنى ذلك أنهم يتركون الأمر إلى محرم؟ لا، ولكن أهل العلم وأهل الجهاد عندهم من معرفة الأحكام ما يرتبون فيه المصالح ويجعلون الحسنات درجات، وليس كذلك كل من أمر بمعروف أو نهي عن منكر، لهذا قال أبو الدرداء: (إني أمركم بالخير وليس كل ما أمرتكم به فعلته ولكني أرجو الخير بما أمرتكم به) يعني أنه يأمر بمستحبات، يأمر بأشياء من الخير يفعلونها، وليس كل ما أمرهم به يفعلوه؛ لأنه منشغل عنه بما هو أهم منه في حقه، وأما في حقهم فليس الأمر كذلك؛ بل لا بد أن يكونوا مأمورين بهذا، وإذا أتته الفرصة وكان في فراغ من أمره فإنه يرغب في المستحب وفي غير المستحب -يعني في الواجب ودرجاته-، كما قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]، يعني بأنواع الواجبات والمستحبات.

بعض الناس لا ينتبه لهذه المقالة ولهذا الأصل الشرعي، فإذا كان على شيء من الخطأ قال: أنا لا أمر بالخير لأنني لا أمتثله، ولا أنهي عن المنكر لأنني ربما فعلته. وهذا غلط على الشريعة؛ لأنه يجب عليك أن تأمر وتمثل، فإن فاتك الامتثال فلا يفتك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بد أن تمتثل

هَذَا؛ وَأَنْ تَجْتَنِبَ هَذَا، فَهَذَا وَاجِبٌ وَهَذَا وَاجِبٌ وَإِذَا فَاتَكَ أَحَدُ الْوَاجِبِينَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَفُوتَ الْآخَرَ.

ومن أقوال أبي الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال لأصحابه مرة:

استعينوا بالله من خشوع النفاق. قالوا: يا أبا الدرداء وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((أول ما يسلب من هذه الأمة الخشوع، فترى الناس يصلون في المساجد لا تكاد تجد فيهم رجلا خاشعا))^(١)، (استعينوا بالله من خشوع النفاق) أن يرى الجسد خاشعا مطرقا في الصلاة ولكن القلب ليس بخاشع، هذه حال أهل النفاق لأنهم في الصلاة يصلون مع المسلمين ولكن قلوبهم ليست خاشعة لله؛ بل يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا.

لماذا قال أبو الدرداء: (استعينوا بالله من خشوع النفاق)؟ لِيُقَرَّرَ في قلوبنا أن لا نجعل ذلك أمرا مسلما مرضيا به، كثيرون من يكون في قلوبهم عدم الخشوع ويكون خشوعهم خشوع بدن وهو يعلم أن قلبه ينازعه إلى أنواع من الكبائر والمنكرات وينازعه إلى أنواع من ترك الواجبات، ثم يقول له أبو الدرداء: (استعينوا بالله من خشوع النفاق) يعني إذا كنت على هذه الحال فلا ترض من نفسك في هذه الحال؛ بل استعذ بالله واتجه إليه واعتصم به ولد به أقبل عليه لكي يزيل ما بقلبك من خشوع النفاق الذي هو أن يكون القلب غير خاشع، ترى الناس يصلون ولكن الخاشع منهم قليل، كان صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعبدون العبادة وربما كان من بعدهم أكثر منهم تعبدا ولكن كانوا يتعبدون بقلوب خاشعة.

لهذا لما قيل للحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هؤلاء التابعون أكثر عبادة من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف كان الصحابة أرفع منهم منزلة؟ قال الحسن: كان الصحابة يتعبدون والآخرة في قلوبهم، وأما هؤلاء فيتعبدون والدنيا في قلوبهم وشتان ما بين هذا وهذا. لهذا أبو الدرداء قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم وأرفع عند الله من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

^(١) جاء في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٤/١) حديث رقم (٥٤٢)، بلفظ ((أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعا))... قال المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

المقصود خشوع القلب، وخشوع القلب معناه استكانته وإقباله وخضوعه وسكونه لله جل وعلا. فلنستعد بالله من خشوع أهل النفاق: اللهم إنا نعوذ بك من خشوع أهل النفاق، اللهم اجعل خشوعنا خشوع أهل الإيمان ظاهرا وباطنا يا كريم. ومن أقوال أبي الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال رحمه الله ورَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد مرّ على رجل عمل ذنبا وحوله أناس يسبونهُ؛ رجل عمل ذنبا وعلم بذنبه أناس فمرّ عليهم أبو الدرداء وهم يسبونهُ، فقال لهم أبو الدرداء وهو البصير بعلاج البُعد عن الدين وعلاج أهل العصيان وعلاج أهل القلوب المريضة فقال لهم:

أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَاعِ قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا مَخْرُجِيهِ مِنْهَا؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُمْ وَلَا تَسْبُوا أَخَاكُمْ.

(احمدوا الله الذي عافاكم ولا تسبوا أخاكم) لكن أنظر إلى تمثيله بأن أهل الإيمان إذا وجدوا رجلا قد وقع في ذنب فإنهم لا يتركونه، بل مثله بمن كان في قليب لا يجد من ينجيه منها، في قاع قليب فماذا يفعل أهل الإيمان مع أخ لهم وقع في مهلكة أيسبونه ويقولون: لم تدخل هذا القليب، ولم تجعل نفسك هكذا وهكذا إلى آخره؟ لا، بل يسعون في نجاته ويحرصون على ذلك.

إذن فالسبلي هو الذي يسبّ، إنما مسبة العاصي لا تجوز في الشريعة؛ بل نسأل الله لإخواننا الهداية ونحمد الله الذي عافانا، ثم نسعى في أن نُنقذهم من شر الذنوب والعصيان؛ لأنهم ما أذنوا إلا بوقوعهم فريسة لمكر إبليس عدو الله وعدونا.

إذن فهذه الوصية -أيها المؤمن- وصية عظيمة، إذا رأيت أحدا وقع في معصية فلا بد أن تبذل له السبب، وإذا نظرنا -أيها الإخوة- في زماننا هذا وجدنا أن كثيرين يسمعون بأناس وقعوا في معصية، فتجده يقول: هذا وقع في كذا وكذا وهذا يذهب ويسافر ويفعل كذا وكذا، وهذه العائلة حصل منها كذا، وتراه ينتقد بشدة ويسبّ، وربما استهزأ والعياذ بالله، وإذا سألت ما الذي عملته لإخوانك في تركهم بهذه الذنوب؟ تجده يقول: لم أفعل شيئا.

إذن كان وسيلة من وسائل الشيطان أيضا لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال: ((من قال: هلك الناس. فهو أهلكهم))^(١) يعني كان بمقامه ذلك سببا في هلاكهم، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُيَ أَنْ

^(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، حديث رقم (٢٦٢٣).

نتحدث بكل ما سمعنا فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من حَدَّثَ بكل ما سمع فهو أحد الكاذبين)) أو قال: ((أحد الكاذبين)).^(١)

فلا بد أن نسعى في إصلاح الغلط وفي نصح أهل الذنب وأن نكتم الذنوب وننشر الخيرات، إذا رأينا رجلا يفعل الخير فلنقل فعل كذا وكذا من الخير، فإنه بذلك ينتشر الخير ويكون الناس يقتدي بعضهم ببعض في الخير، وأما إذا نشرنا الشر فإن الناس يتساهلون فيه وبه، فيقول: نعم فلان فعل كذا من المعاصي وهذا فعل كذا وهذا فعل كذا، فيظن الظان أن الشر أكثر من الخير فيتساهل بالشر فيقبل عليه.

رحم الله ورضي عن أبي الدرداء وجزاه خيرا عن أصحابه وعن الأمة بعده.
اللهم نسألك أن تبصرنا بديننا، وأن تجعلنا من أتباع أصحاب نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
اللهم نعوذ بك من الغفلة، ونسألك أن تجعلنا من أهل التفكير والتذكر.
اللهم اجعل الآخرة في قلوبنا، ونعوذ بك أن تكون الدنيا في قلوبنا.
اللهم أجعلها في أيدينا وأخرها من قلوبنا.

اللهم استعلمنا فيما تحب وترضى ونعوذ بك مما تسخط وتأبى يا كريم، نعوذ بك من الخزي في الدنيا ومن العذاب في الآخرة .

واسمعوا قول الله عز وجل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

بارك الله [لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم].

[الخطبة الثانية]

[الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

(١) مسلم: مقدمة صحيح، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها] وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذّ في النار، وعليكم بتقوى الله عز وجل وعليكم بتقوى الله فإنه من يتق الله يجعل له مخرجا كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وتقوى الله أيها المؤمنون كل مقام بحسبه:

إذا أتى أمر الله جل وعلا فتقوى الله أن تمتثل هذا الأمر.

إذا أتى وقت الصلاة فتقوى الله أن تصلي.

إذا أتى أمر الله بصلة للرحم أو بأمر بمعروف أو نهي عن المنكر، فتقوى الله في هذا المقام أن تمتثل الأمر وأن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر.

إذا أتى مقام فيه منكر وفيه معصية فتقوى الله أن تتذكر مقامك أمام يدي الله وأن تتذكر حق الله عليك وأن تتبعد عن ذلك.

فتقوى الله في كل مقام بحسبه، وجماعها أن تعظم أمر الله وأن تعظم نهي الله جل جلاله.

هذا واعلموا رحماني الله وإياكم أن الله جل جلاله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال -جل وعلا- قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الخنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم أيدهم بتأييدك وأمددهم بمدد من عندك، وقوهم بقوتك فإنك أنت القوي العزيز.

اللهم نسألك أن ترفع للمؤمنين منارا، اللهم ارفع للمؤمنين في كل مكان منارا، اللهم اجعل الدائرة على عدوك وعدوهم يا أرحم الراحمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم ودّلهم على الرشاد وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد يا أرحم الراحمين .

اللهم نسألك أن تجعل قلوبنا مطمئنة للإيمان، وأن تجعلنا مع ولاة أمرنا من المتعاونين على البر والتقوى، وغير المتعاونين على الإثم والعدوان يا أرحم الراحمين.

اللهم نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابهما، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا أكرم الأكرمين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك ويعافى فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء.

اللهم لا تمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح، نعوذ بك على أن نموت على غير توبة، نعوذ بك اللهم على أن نموت على غير توبة.

اللهم فأعذنا، اللهم فأعذنا، اللهم فأعذنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن كل سبب يؤول بنا إلى سخطك والنار يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على عظم نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

أحكام الرُّقى وأصناف الرُّقاة

(القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء)

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي جعل القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء، الحمد لله الذي بحكمته أنزل الداء، وبعده وحكمته وفضله جعل لكل داء دواءً، علمه من علمه وجهله من جهله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من يريد بها النجاة من عذاب الله يوم لقاءه ومن يريد بها الازدلاف إلى مرضاة الله، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تأكيداً بعد تأكيد، فهو الواحد القهار لا إله إلا هو يحيي ويميت.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف علينا من الدين الغمّة وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله عليه وعلى آله وعلى صحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون: اتقوا الله حق التقوى، عظموا الله، عظّموا أمر الله، عظموا نهي الله، لتكن الدنيا في قلوبكم حقيرة، ولتكن الآخرة في قلوبكم عظيمة، فإن حقارة الدنيا وعظم الآخرة في قلب العبد المؤمن سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون: قال الله جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال -جل وعلا- في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، فإن الله جل جلاله جعل هذا القرآن العظيم هدى للمؤمنين، وجعل فيه الشفاء.

قال العلماء: الشفاء في القرآن ثلاثة أنواع:

• النوع الأول الشفاء من أدواء الشبهات التي إن تسلطت عليه أضلته وصار سائراً في الظلمات، والله -جل جلاله- جعل هذا القرآن هادياً للتي هي أقوم ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. فمن أراد السلامة من أمراض الشهوات ومن أمراض الشبهات فعليه بالقرآن فهو للذين آمنوا هدى وهو للذين آمنوا شفاء.

• النوع الثاني أن القرآن شفاء لأمراض البدن بأنواعها، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ما من داء إلا وفي القرآن شفاؤه علمه من علمه وجهله من جهله. وآيات القرآن عند أهل العلم فيها من عجائب الاستطباب ومن عجائب التداوي بما لا يعلمه كثير من الناس.

فانظر مثلاً إلى ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كيف تلا على الذي كان به داء الرُّعَاف الذي استطال به، كان طريقة دواء ذلك الداء عند ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه كتب على جبينه آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤]، فشفى الله -جل وعلا- ذلك المريض.

أنظر إلى ذلك الرجل الذي أُصِيبَ بِسُمٍّ من بعض ذوات السموم، فأتاه أحد الصحابة فقرأ عليه القرآن فأبطل الله -جل وعلا- ذلك السَّم وأثره، وقام الرجل سليماً يمشي في الناس.^(١)

وهكذا، فالقرآن فيه شفاء للأمراض البدنية، وقد عدَّ العلماء من أنواع هجر القرآن التي تدخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، عَدُّوا من أنواع الهجر أن يُهجر القرآن فلا يستشفى به.

• النوع الثالث أن في القرآن الشفاء من الأمراض النفسية، ومن العين؛ من عين الإنس وعين الجن، ومن السحر ومن جميع تلك الأمراض التي قد لا تكون من جنس الأمراض البدنية.

وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرقى بعض أولاد جعفر لما رأى فيهم من أثر العين،^(٢) وقد أمر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بذلك وقد رقى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ورُقِيَ أيضاً.

فالقرآن -إذن أيها المؤمنون- شفاء، والرقية بالقرآن سنة ماضية، فقد رقى جبريل عليه السلام نبينا محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،^(٣) وقد رقى نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طائفة من الصحابة، ورقى الصحابة

(١) البخاري: كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، حديث رقم (٥٧٣٦).

مسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، حديث رقم (٢٢٠١).

وهو حديث اللديغ الذي رقاه أحد الصحابة بفاتحة الكتاب، فجعلوا له قطيعاً من الغنم. فلما ذكروا ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم)).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، حديث رقم (٢٠٥٩). وقال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.

سنن ابن ماجه: كتاب الطب، باب من استرقى من العين، حديث رقم (٣٥١٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، حديث رقم (٢١٨٥، ٢١٨٦).

أيضا؛ رقى بعضهم بعضا، وهذا امتثالا لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه)).^(١)

فالرقية بالقرآن وبالأدعية النبوية الواردة فيها الشفاء بإذن الله، فهي سببٌ قد ينفع الله جل وعلا به، والقرآن فيه الشفاء للمؤمنين؛ ولكن الظالمين لا يزيدهم إلا خسارا^(٢).

أيها المؤمنون: لأجل هذا شاع في الناس بكثرة من يرقى الناس ومن يتلو عليهم القرآن وينفث عليهم طلبا لشفائهم ورغبة في ذلك، وهؤلاء الذين يرقون الناس بالقرآن وبالأدعية النبوية هؤلاء محسنون؛ لكن جملة من يرقى الناس على ثلاثة أصناف:

👉 **الصنف الأول:** من يرقىهم وهو عالم بأمر الله، عالم بشرعه، عالم بمزالق الرقية وما تؤول إليه من الخير أو ما قد تؤول إليه من الشر.

👉 **الصنف الثاني:** صنف جاهل لا يعلم أحكام الرقية وما يرقى به الناس ولا ما تؤول إليه الرقية، إذا رقى فتجده يخوض غمرة ذلك بجهله وإعراضٍ عن اتباع طريقة العلماء في ذلك.

👉 **الصنف الثالث:** من هو مشعوذ يتبع أساليب المشعوذين في القراءة، يُظهر أن قراءته بالقرآن وبالأدعية، وهو في الحقيقة يستخدم طرقا غير مشروعة؛ منها أن يستخدم الجن في رقيته، في إعلامه بحال هذا المريض، وفي إخباره بما حصل له ونحو ذلك، فتجده يبذل للجن بعض ما يُسرّ به الجن ويستمتعون به لقاء ما يخدمه به الجن.

وهذا الصنف من الناس من صنف المشعوذين، من صنف الذين يرقون برقية محرمة؛ لأنهم في ذلك قد استخدموا طرقا ليس عليها الدليل من الكتاب والسنة.

وقد انتشر القراء في هذا الزمان وكثروا جدا، حيث إن الذين يرقون كانوا في الزمن الماضي -زمن العلم والتوحيد، زمن انتشار نور العلم والسنة- كان القراء قليلين ولا يرقون إلا الواحد بعد الواحد من قلتهم.

وفي هذا الزمان تجد الحداث من الشباب عهده بالفسق وعهده بالفجور وعهده بذلك قريب، فما تراه بعد سنة إلا وقد أصبح من القراء المشهورين والناس إليه أسراب إثر أسراب يطلبون رقيته بذلك،

(١) مسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، حديث رقم (٢١٩٩).

(٢) لقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وليس ذلك على الله بعزيز؛ إذ التوبة تجب ما قبلها؛ لكن الرقية تحتاج إلى علم وتفتقر إلى السنة، وليس ذلك الزمن القصير بكافٍ لتعلم ذلك، لهذا تسامع الناس من أولئك القراء بالعجب العجيب؛ من استغلال الناس، ومن الرقية غير المشروعة فبعضهم يستخدم الجن يزعم أنه يستخدم مسلمي الجن فيما زعم.

وهذه البلاد طهرها الله -جل وعلا- بالتوحيد طهرها الله -جل وعلا- بأن لا يرى فيها الشرك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات قال: إنَّ نور العلم والإيمان والتوحيد إذا انتشر في أرض ضاق معه وجود الشياطين ووجود الجن الذين يستفيدون من الناس ويستفيد الناس منهم. فإنَّ الرقية سبيل إلى ذلك، ولهذا نور العلم والإيمان؛ نور التوحيد إذا انتشر في بلاد الله كان مُغنيا عن ذلك، والجن والشياطين إنما تنتشر في البلاد التي يضعف فيها نور القرآن والسنة، واعتبر ذلك وانظر إليه في بلاد الله المختلفة تجد ذلك جليا، وأكثر الناس فرعون كيف كانت أرضه ينتشر فيها السحرة الذين يستخدمون الجن كأعظم ما يكون من الاستخدام، وعندما ضعف أمر التوحيد في قلوب الناس وضعفت حقيقة التوسل على الله حتى غدا التوسل على الله وتفويض الأمر إليه والصبر على البلاء الذي أنزله، حتى غدا في الناس ذلك غدا ضعيفا، ظهر في الناس ما ظهر من أنواع الخروج عن العلم والسنة في باب الرقية. أنظر إلى حال كثير من البيوت كيف إذا ظهر في البيت نوع من المس ظنَّ الناس أن هذا من الأمراض فصار النساء يذهب بعضهن إلى كل من سمعت المرأة بأنه قارئ يقرأ، سواء أكان من أهل العلم المشهودين أو لم يكن، المهم أنه يُذكر اسمه وأنه قارئ، وبعض النساء يذهبن إلى كاهنات أو مشعوذات، وبعض النساء يذهبن إلى مشعوذين، وبعض أولئك القراء يرتكب مع النساء محرمات يتغيض منها قلوب أهل الإيمان، والناس يظنون أن رقية ذلك تنفع، وهو يرتكب حين يرقى من رؤية النساء ومن الخلوة بهن ومن مسهنّ ومن إثارة الشهوة فيه بما يمس منهن ما تسامع الناس به.

وسبب ذلك ضعف التوحيد في قلوب الناس، الرجل في بيته يتسامع بما تفعله زوجته بالذهاب إلى هؤلاء، وبما يفعله بعض أقاربه من ذلك، وبما سيفعله أهله بالصغار، وهو في ذلك ساكت وكأن الرجال ليسوا على قوامتهم مع النساء، الرجل يعلم ما لا تعلمه النساء خاصة في هذه الأمور؛ لأنه يسمع القرآن كثيرا في الخطب وفي المحاضرات وفي كلام أهل العلم وفيما يُنشر من ذلك، فعليه أن يكون في ذلك ذا قوام على أهله، فكيف يأذن بأن يسعى أهله في تلك المنكرات.

نعم.. الأمراض -أمراض النفس- كثرَت من العين، ومن أمراض القلب، ومن أمراض الصدر -من ضيق الصدر-، ومما فرقوا فيه بين المرء وزوجه؛ لكن علاج ذلك يكون بالقرآن.

وأيضاً انتشار تلك الأمراض له سبب، وسببه الشياطين التي خيَّمت في كثير من البيوت، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ))،^(١) فانظر إلى ما شاع في الناس من انتشار الصور المحرَّمة في بيوتهم، ومن تعليق الصور على الجدران وهو بإجماع العلماء من الكبائر، والملائكة الحفظة، ملائكة الرحمة تفرّ من البيت الذي فيه الصورة، وإذا فرَّت الملائكة دخلت الشياطين فعاثت في الناس، والله -جل وعلا- حمى المؤمن بالخصوص والإنسان بعامة بالملائكة الحفظة قال جل وعلا: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، يعني الملائكة تحفظ ابن آدم مما قد يصيبه حتى إذا أتى قدَّر الله خلّوا بينه وبين ذلك، انتشر ذلك فانتشرت الشياطين في البيوت -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

قلَّت أو ضُعُفَت أو انعدمت تلاوة القرآن في البيوت، والشيطان يفرّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة؛ لأنه لا مكان له في مكان تُقرأ فيه سورة البقرة، فكم تُقرأ سورة البقرة فينا من بيت؟

الشيطان يفرّ من المؤمن الذي يُدِّم الاستعاذة بالله يُدِّم الأوراد والذكر؛ لأن القلب إذا خلا من ذكر الله تسلَّط وكان بيتاً للشيطان، وأما إذا عمَّر بذكر الله فرَّت الشياطين فإن الشيطان وسواس ولكنه خناس، قال المفسرون: إذا ذُكِرَ الله خنس وإذا غفل العبد أقبل.

فكم منا من يتلو الأوراد ويستعيد بالله من شرّ الشياطين عند إقبال الصباح وإقبال المساء، وهي فترات انتشار الشياطين؟

إن الرقى مشروعة وأكمل الرقية أن يرقى العبد نفسه متوكلاً على الله عالماً أنها سبب، وأن الله -جل وعلا- هو الذي أمر بهذا السبب، وأن القرآن شفاء إذا أذن الله بذلك.

فليكن كل منا متوكلاً على الله راقياً نفسه راقياً أهل بيته، ولا يجوز أن يتساهل الناس في هذا الأمر بأن يأذنوا لمن يرفعونهم بأن يذهبوا لكل من هبّ ودبّ ممن يرقون؛ لأنّ كثيرين منهم؛ بل لأنّ الأكثرين منهم يرقون على خلاف السنة ويستخدمون ما جاءت السنة بإبطاله، قال شيخ الإسلام رحمه الله في

(١) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين... حديث رقم (٣٢٢٤).

مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صور الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتحنة بالفرش ونحوه... حديث رقم (٢١٠٦).

كتابه التَّبَوَات: أولياء الله مع الجن مثلهم كمثل الأنبياء مع الجن؛ يأمرهم بطاعة الله وينهونهم عن معصية الله، ويأمرهم بالتوحيد وينهونهم عن الشرك، ويأمرهم بطاعة الرسول وينهونهم عن مخالفة ذلك، وأما ما عدى ذلك فليس من صنيع أولياء الله. هذا معنى كلامه فتنبه لهذا.

والانتفاع بالرقية أكثر ما يكون من جرأ أن يرقى أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون. وليحذر الناس في هذه البلاد أن ينتشر الأمر ذاك من الذين يرقون على خلاف السنة، ومن الذين يستخدمون الجن، ومن الكهنة والمشعوذين والعرافين الذين يُخبرون ببعض الأمر الغيبي الذي فات، وكذلك من السحرة وأمثالهم ممن أتوا إلى هذه البلاد، أو من أهل هذه البلاد الذين تعلموا على يدي أولئك فحمى الله -جل وعلا- هذه البلاد من شر أولئك زمنا طويلا.

واليوم نرى ها قد انتشرت تلك الموبقات، وأولئك الذين مرقوا من الدِّين، نسأل الله -جل وعلا- لنا السلامة، وأن يحمي هذه البلاد بالتوحيد، وأن يحمي أهلها من مزالق الشرك ووسائله وطريق المخرفين والمشعوذين، وأن يمنّ على الرجال بالقوامة الحقّة التي منّ الله بها عليهم شرعا، إنه ولي ذلك وهو المسؤول وعليه التّكّان.

واسمعوا قول الله -جل وعلا- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقا، وتوبوا إليه صدقا، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد لأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وعلنكم فإن بالتقوى رفعة مقامكم عند ربكم، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها المؤمن اسمع لقول نبيك عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))،^(١) وقد قال عليه الصلاة والسلام أيضا: ((ثُمَّ إِنَّهُ تَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ)).^(٢)

إن انتشار الذين يقرؤون على خلاف السنة، إن انتشار المشعوذين، إن انتشار الكهنة، والعرافين والسحرة منكر عظيم في بلاد المسلمين، فمن رأى شيئا من ذلك أو علمه وتيقن منه، فإنه يجب عليه أن يبلغ أهل المسؤولية بذلك ولا ينفك من العهدة، وليحذر أن يعاقب من جراء سكوته على تلك المنكرات التي هي وسيلة إلى أن يظهر الشرك في بلاد التوحيد، في البلاد التي طهرها من مخالفة ومناقضة الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فعلينا -أيها المؤمنون- القيام بذلك الأمر بأن إذا سمعنا وتحققنا من خالف السنة في ذلك أو كان مشعوذا أو كاهنا أو ساحرا لنبلغ عنه وذلك على سبيل الوجوب على أقل الأحوال؛ إلا إن كان المؤمن لا يستطيع فالإنكار بقلبه ينجيه، ولكن في أحوالنا هذه ليس عذرا في عدم التبليغ؛ لأن الحق أظهر من الباطل ولأن الصولة في هذه البلاد والله الحمد للحق وأما الباطل فهو ذليل حقير وزاهق بإذن الله، فقوموا أيها المؤمنون بهذا الواجب، وليحذر من لم يقم به العقوبة في نفسه أو في من يجب؛ لأن أولئك يضرون المسلمين بما ينشرونه، فاتقوا الله اتقوا الله وخافوا يوم لقاءه، وقوموا في هذا الأمر أتم قيام لعنا نكون من الممثلين الناجين حقا.

هذا واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله جل جلاله أثنى على الذين يتبعون أمره، وأمر أيضا بالصلاة على نبيه فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجلين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا به يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

^(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان..، حديث رقم (٤٩).

^(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان..، حديث رقم (٥٠).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.
 اللهم إنا نسألك أن تُعلي راية الإسلام وراية أهله، وأن تُذل الكفر وأن تذل أهله، يا قوي يا عزيز.
 اللهم انصر المجاهدين الذين يجاهدون لتحقيق كلمة التوحيد في كل مكان، اللهم انصرهم وأيدهم
 بتأييدك وقوّهم بقوّتك، فإنك أنت القوي العزيز.
 اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ودلّهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل
 البغي والفساد يا أكرم الأكرمين.
 اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر
 منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة وعن سائر بلاد المسلمين بعامة يا أكرم الأكرمين.
 اللهم إنا نسألك أن توفّقنا لتوبة نصوح قبل الممات.
 اللهم لا تمتنا إلا وقد وفّقنا للتوبة، اللهم لا تمتنا إلا وقد وفّقنا للتوبة نلقاك بها وأنت راضٍ عنا وأنت
 أرحم الراحمين.
 اللهم نسألك صلاحاً في أنفسنا وفي أهلينا وفي أولادنا وفي علمائنا وفي وُلاتنا، وأنت أرحم الرَّاحمين
 وأجود الأجودين.
 عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على النعم
 بأعمالكم وبألسنتكم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة أحكام الرؤى والأحلام

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فجزاه الله جل وعلا عنا خير ما يجزي به نبيا عن أمته.

ونسألك اللهم أن تحشرنا تحت لوائه المحمود وأن توردنا حوضه المورود.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

أيها المؤمنون إن الرؤى والأحلام تشغل كثيرا من الناس؛ لأنه ما من يوم إلا ويحصل لهم فيه رؤى أو أحلام، والشرع المطهر جاءنا بتفصيل أحكام الرؤى وتفصيل أحكام الأحلام وما يتصل بهذه أو بتلك؛ بل إن أصولها قد جاءت في القرآن العظيم.

ألم تر سورة يوسف عليه السلام حيث إنه -جل وعلا- أخبرنا أن يوسف عليه السلام رأى رؤيا ثم تحققت تلك الرؤيا بعد كثير من السنين ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، قال جل وعلا في آخر السورة: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، نعم أن إخوته كانوا هم الكواكب وكان أبوه وكانت أمه هما الشمس والقمر.

كذلك في تلك السورة أخبر الله -جل وعلا- عن الملك الكافر حيث إنه رأى رؤيا فجاءت رؤياه حقا، قال جل وعلا عن الملك: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٤].

ونبيننا عليه الصلاة والسلام أول ما بُدئ به الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ يعني يراها كما هي عيانا في الواقع كما رآها مناما، ولهذا قال عليه الصلاة

وَالسَّلَامُ: ((الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين من النبوة))^(١) قال كثير من العلماء: لعل معنى هذا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أول ما بُدئ به الوحي أنه يرى الرؤيا فتجيء مثل فلق الصبح، فاستمر ذلك معه قبل نزول جبريل عليه السلام عليه ستة أشهر، ثم إنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ استمرت نبوئته ورسالته ثلاث وعشرين سنة، وكان نصيبها جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة.

والرؤى لها مقام عظيم من أول البشرية، كان الناس يعتنون بها؛ لأن أمرها غريب ولأن شأنها عجيب، ولهذا قل أن يكون زمن إلا وفيه معبرون يعتنون بتعبير الرؤيا ويهتمون بذلك لأنها تشغل الناس، والله جل وعلا يبين أصول الرؤى وأنها تنقسم إلى:

رؤيا من المسلم المؤمن الكامل وفيها تكون رؤيا حق، وقد تكون الرؤيا الحق من الكافر الذي يشرك بالله جل وعلا.

قال أهل العلم: الروح؛ روح الإنسان ثلاثة أنفس. فإن الروح منقسمة إلى أنفس قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، فالروح أنفس، والأنفس في حال المنام:

- منها نفس تكون مع النائم يتردد بها نفسه وتستقيم بها حياته.
- ونفس أخرى يقبضها الله جل وعلا ويتوفاها فتكون عنده.
- والنفس الثالثة تسرح وتذهب هاهنا وهاهناك منفصلة عن البدن.

وكل هذه الأنفس قريبة من البدن تعود إليه في أقرب من لمح البصر.

أما النفس التي تتجول فهذه النفس هي التي يحدث منها ومن تجوالها الرؤى والأحلام.

♦ فإذا [مسكها] ملك فضرب لها الأمثال إما بالألفاظ وإما بالأشكال وإما بالوقائع والذوات والقصص، فإن الرؤيا تكون حينئذ ضرب من الملك. وهذا القسم هو الرؤيا التي هي الحق.

♦ والقسم الثاني: أن يأخذها الشيطان فيتلاعب بها، يُري الإنسان ما يغيظه، يُري الإنسان ما يكرهه، وينغص عليه منامه، فقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله رأيت البارحة أن

(١) البخاري: كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة من ستة وأربعين جزءا من النبوة، حديث رقم (٦٩٨٩).

مسلم: كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٣). واللفظ عندهما: ((الرؤيا الصالحة...))

رأسي قُطعت فأخذت أتبعها. قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لا يخبر أحدكم بتلاعب الشيطان به في منامه)).^(١)

❖ كذلك قد تكون تلك النفس تتجول ويؤثر عليها تعلقها بالبدن، فإذا شبع الإنسان -مثلاً- أثير شبعه على تلك النفس، فإذا كان في نفسه من الخواطر ما فيه أثر ذلك على نفسه، فرأى ما شغل باله أو رأى ما أثر عليه من بدنه.

لهذا ثبت في الصحيح -صحيح مسلم- أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((الرؤيا ثلاثة أقسام: فمنها ما هو حق يضربه الملك، ومنها ما هو تلاعب يتلاعبه الشيطان بأحدكم، ومنها ما هو حديث نفس)).^(٢) وهذه هي أقسام الرؤيا.

فمنها ما يكون حقاً يضربه الملك لك أيها المؤمن؛ بل يضربه الملك للمؤمن والكافر، فيكون بتلك الأمثال إشارات يعقلها العلماء كما قال جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ومنها ما يكون من تلاعب الشيطان يُري الشيطان للإنسان؛ يعني يري نفسه التي أخذها في المنام وذهب بها إلى ها هنا وها هنا، يريه أشياء مفزعة، يريه أشياء تحزنه، فيكون الإنسان في منامه محزوناً، وذلك من فعل الشيطان به، وربما لم يحزن في منامه؛ لكن يحزن إذا استيقظ، وهذا كله من الشيطان؛ لأنّ تلاعب الشيطان له دلالاته يستدلّ بها المعبرون على أن ذلك ليس من الرؤى من الحق وإنما هو تلاعب الشيطان.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان إذا صلى الفجر غالباً من كل يومه فإنه يقبل على أصحابه ويسألهم: ((هل رأى أحد منكم رؤيا))،^(٣) فيخبره من رأى منهم بما رأى، فربما عبرها لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك أنّ الرؤيا الصالحة مبشرة للمؤمن، فما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام

^(١) مسلم: كتاب الرؤيا، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((من رآني في المنام فقد رآني))، حديث رقم (٢٢٦٨).

^(٢) مسلم: كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٣)، لكن ليس فيه ((فمنها ما هو حق يضربه الملك)) وفيه: ((فرؤيا الصالحة بشرى من الله)).

^(٣) البخاري: كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث رقم (٧٠٤٧).

مسلم: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٢٢٧٥).

قال: ((لم يبقَ من النبوة إلا الرؤى الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له))،^(١) فإنَّ الرؤى الصالحة هذه مبشرات لأهل الإيمان.

وربما كانت الرؤى الصالحة محذرة لأهل الإيمان، فكم من صالح رام أمرا فأتته الرؤيا، تحذره من غشيان ذلك الأمر تحذره إما بصريح أو بإشارة، ولهذا أهل العلم الذين يعبرون الرؤى يستدلون بما رآه الرائي، يستدلون على تأويل الرؤيا بما رآه، تارة يستدلون باللفظ، وتارة يستدلون بالأشباه، وتارة يستدلون بالأبدان وما بينها من التنافر، وتارة يستدلون في تفسير الرؤيا بما يأتي للرائي، وكثير منها يكون من العلم الذي علّمه الله جل وعلا من شاء من عباده ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١].

والناس اليوم خرجوا عما أرشدوا إليه شرعا في كثيرٍ من أمور الرؤى:

فمنهم من فإذا رأى رؤيا أسرع في أن يسأل عنها كل من رأى سواء علم منه أنه يعلم التأويل أم لا يعلم، وهذا من الأمر الذي لا يسوغ؛ ذلك لأن تفسير الرؤى علم من العلوم والكذب فيه كذب على الملك؛ لأن الله جل وعلا جعل الملائكة تضرب الأمثال، فإذا فسر المفسر رؤيا وهي ليست برؤيا بل بحس وتخمين منه فكأنه قال للذي رأى: هذا الذي رأيت رؤيا؛ يعني أن الملك ضرب له المثل بذلك، وقد يكون ذلك من تسويل الشيطان، وقد يكون ذلك من حديث النفس، والمتعجلون في هذا الأمر كثير.

لذلك على المؤمن أن لا يسأل عن كل ما رآه، وعليه إن سأل أن يتحرى الذين يعلمون الرؤى -عُرفوا بذلك-، وليس كل من عُرف بتأويل الرؤيا وأصاب في كثير منها يلزم منه أن يصيب دائما، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي بكر لما سأله عن تعبير رؤيا فعبرها فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي بكر: ((أصبت بعضا وأخطأت بعضا))،^(٢) وأبو بكر رضي الله عنه كان من المعروفين بتأويل الرؤى، فلا يلزم من تعبير المعبر للرؤيا -إذا كان عنده علم بذلك- لا يلزم منه أن يصيب دائما، لكن الناس يتعجلون في هذا الأمر.

^(١) البخاري: كتاب التعبير، باب المبشرات، حديث رقم (٦٩٩٠).

مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٧٩).

^(٢) البخاري: كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، حديث رقم (٧٠٤٦).

مسلم: كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٩).

والذي ينبغي على المؤمن أن لا يُحدث برؤياه؛ لأن الرؤيا - كما ذكرنا - أعني ما يراه النائم في منامه على ثلاثة أقسام:

■ فمنها رؤيا حق وهذه على قسمين:

○ إما أن تكون مفرحة، فإذا كانت مفرحة فاحمد الله عليها، احمد الله عليها، وإن شئت أن تسأل فسل، ولا يلزم من تلك الرؤيا أن تسأل عنها، فإن عاقبتها إلى خير، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((الرؤيا على رجل طائر إذا عبرت وقعت)).^(١)

○ والقسم الثاني أن تكون الرؤيا الحق فيها ما يحزن المرء إما بدلالة في الرؤيا وإما عبره المعبر، فهذا إذا سأل عنه ربما أحزنه، والذي ينبغي إذا رأى المرء ما يحزنه أن يستعيز بالله من شرها، وأن يتفأل عن يساره ثم يتحوّل إلى الجنب الآخر، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مرشداً من فعل ذلك: ((فإنها لا تضره)).^(٢)

■ كذلك القسم الثاني ألا وهو حديث النفس، فإن النفس لها أحاديث، فهذا راءٍ رأى في منامه أنه يشرب الماء الكثير جدا، يشرب البحر أو يشرب النهر، أو يشرب عينا غدقة كثيرة فأفزع ذلك، وإذا مردّ ذلك إما إلى شبع من طعام لم يشرب عليه ماء، وإما يكون مردّ ذلك لعطشه إذ ذاك أو لتفسير من التفسيرات التي فسّر بها، وليس كل ما يظنه الناس أنه رؤيا يكون في الحقيقة رؤيا؛ بل كثير من الناس يرى ولا تكون رؤياه حقاً؛ بل تكون من أحاديث النفس أو تكون من تسويلات الشيطان.

والرؤى يعتبرها أهل العلم باعتبارات مختلفة، لهذا مما ينهى عنه أن يتعلّق الناس الرجال وبالأخص النساء بالكتب التي تفسّر الأحلام، فكثير من الناس يحصل عنده كتباً في تفسير الأحلام، فإذا رأى رؤيا إذا رأى في منامه شيئاً أسرع من صبيحته إلى ذلك الكتاب.

^(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، حديث رقم (٥٠٢٠).

سنن الترمذي: كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبیر الرؤيا، حديث رقم (٢٢٧٨، ٢٢٧٩)، قال الترمذي: هذا حديث صحيح. سنن ابن ماجه: كتاب تعبیر الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على وادّ، حديث رقم (٣٩١٤). قال الشيخ الألباني: صحيح.

^(٢) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٩٢).

مسلم: كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦١).

والرؤيا تعبيرها له شروط وتحتاج إلى علم واسع، فأحيانا لا يكون تفسيره له تعلق بالرؤيا البتة، وإنما يكون في الرؤيا كلمة تدل المعبر على تفسير الرؤيا، كلمة واحدة ويكون معها قصص طويلة كيف لها شأن بالرؤيا وليس لتفسير الرؤيا بها تعلق، وإنما التعلق بتلك الكلمة وما قبلها وما بعدها من الأحداث ليس له مصير.

كذلك من الناس من يرى أشياء مفزعة فيرى تفسيرها بالأمر القبيح، فينظر في نفسه فإذا هو أصبح محزونا فصار كيد الشيطان عليه متحققا إذ أحزنه.

والذي ينبغي أن لا يسعى في ذلك، وإذا أراد فليسأل أهل العلم الذين يعبرون الرؤى ولا يسأل أهل الجهالة ولا يسأل أهل التعجل، فإن كثيرا من الرؤى لا يعلم تأويلها إلا بشيء من التأمل والنظر، ومنها ما يظهر تأويله، ومنها ما يخفى تأويله والناس في هذا لهم مقامات.

مما شاع بين الناس -وهو غلط- أن الإنسان إذا رأى أن من أسنانه ما سقط، أن ذلك يؤول بفقد أحد أحبته -عموت ابنه أو ابنته أو من يعز عليه-، وهذا ليس بالصحيح إذ إن الأسنان لها في الرؤى أحوال كثيرة، والأسنان العلوية غير السفلية، والمتقدمة غير المتأخرة، والأضراس غير الأسنان، وهكذا في تفاصيل كثيرة.

المقصود -أيها المؤمن- أن الرؤى من العلم الذي حازه من حازه، والأنبياء يعبرون الرؤى بتعليم الله -جل وعلا- لهم، فلا تكن متسرعا في ذلك بقصّها ولا بأخذ الكلام فيها ولا بتعبير الرؤى إن سئلت؛ لأن ذلك من العلم ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]، فالتعجل في ذلك من الكذب إن لم يكن صاحبه على علم بذلك.

هكذا واعلموا أن المرء إذا استعاذ بالله من شرها فإنها لا تضره ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وليس من شرط الرؤيا أن تتحقق فقد يرى رؤيا حق ولا تتحقق إذا سأل الله جل وعلا أن لا تكون، إذا كانت مما يحزنه أو مما يرى أن فيه ضراء.

أيها المؤمنون، إن العلم واسع، والناس توسعوا وخاضوا غمرة جهل كثير؛ في أمورهم التي لها تعلق بدينهم ولها تعلق بكتاب ربهم وسنة نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعليكم بالعلم في أموركم كلها،

عليكم بالعلم واليقظة، وأن تسألوا إذا جهلتم فإنما شفاء العي السؤال كما روي ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^(١)

نسأل الله أن ييسرنا وإياكم للحق، وأن يلهمنا إياه، وأن يعلمنا من لدنه علما، وأن يجعلنا ممن استعملهم في طاعته، وأن يجنبنا القول بالكذب والقول عليه بلا علم؛ إنه ولي ذلك وهو نعم المولى ونعم النصير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾ [الشرح].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم في الدنيا والآخرة، فاتقوا الله حقاً وتوبوا إليه صدقاً، اتقوا الله بتعظيم أمر الله واجتناب ما نهى الله عنه، فإن تقواكم عاقبتها لكم، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

^(١) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب في المروح يتيمم، حديث رقم (٣٣٦).

سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة، باب في التيمم ضربتين، حديث رقم (٥٧٢).

قال الشيخ الألباني: حسن.

هذا واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله -جل جلاله- أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فثنى بملائكته فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه النور والجبين الأزهر.

وارض اللهم على الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعن سائر الصحب والآل، وعن جميع زوجات نبيك، يا أرحم الراحمين.

اللهم ارض عنهم أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلّهم على الرشاد وباعد بينهم وبين أهل الزيغ والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللهم وهبهم المستشار الصالح الذي يدهم على الخير ويذكرهم به ويضيق عليهم سبل المنكرات والشرور يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك أن تُعز الإسلام وأهله، وأن تذل الكفر وأهله.

اللهم انصر المجاهدين من المؤمنين في كل مكان.

اللهم انصر المجاهدين في فلسطين، اللهم انصر المجاهدين في البوسنة، وانصر المجاهدين في كل مكان.

اللهم وعليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن دينك، ويقاتلون أولياءك ويسعون في إطفاء نورك، وأنت المتمدن لنورك ولو كره المشركون.

اللهم إنا نسألك أن ترينا فيهم عجائب قدرتك، وأن تنصرنا عليهم نصراً مؤزراً، اللهم عليك بالمشركين والملحددين وباليهود والنصارى المعادين للإسلام وأهله يا أرحم الراحمين.

اللهم أنت القوي فقونا، وأنت المعز فأعزنا.

اللهم نصرك الذي وعدت، اللهم نصرك الذي وعدت، اللهم نصرك الذي وعدت.

اللهم ارحم المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللهم ارحم النساء والأطفال، اللهم ارحم النساء والأطفال، اللهم ارحم النساء والأطفال، وأنزل عليهم سكينه، وانصر الرجال المؤمنين، يا أكرم الأكرمين.

اللهم نسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی وباسمك الأعظم -الذي إذا دُعيت به أُجبت وإذا سئلت به أعطيت- نسألك أن تجعل الإسلام عزيزاً عن قريب، اللهم اجعل الإسلام وأهله أعزاء على الجميع عن قريب، يا أكرم الأكرمين.

اللهم انصر المؤمنين، اللهم انصرهم، اللهم لا تكن عليهم يا أرحم الراحمين، اللهم إنهم مذبذبون وفي عفوك سعة وأنت العفو الغفور، نتوسل إليك أن تنصرهم بأسمائك الحسنی وبصفاتك العلی. اللهم ونسألك أن تؤمّننا في جميع ديارنا.

اللهم نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم من أراد بنا فتنة، فأشغله بنفسه، اللهم من أراد بنا فتنة فأشغله بنفسه، واجعل هذه البلاد آمنة مطمئنة، سائرة على الإيمان والتوحيد، مُحَكِّمة لشرعك على ما تحب وترضى، يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يُرْدُ بِأُسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا.
الحمد لله الذي أتم علينا النعمة ببعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتم علينا النعمة بأن جعلنا من أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونسأله اللهم أن يتم علينا النعمة بالوفاة على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.
وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبيه محمد وعلى آل نبيه محمد وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله؛ إن الله جلّ جلاله ضرب الأمثال في القرآن، وجعل في القرآن من كلّ شيء مثلا، ضرب المثل لعبوديته الحقّة وعبودية الآلهة الباطلة، وضرب مثلا لرسوله، وضرب مثلا للحق والباطل، وضرب مثلا لما جعل الله -جل وعلا- عليه الأمم السابقة، ضرب الأمثال لتكون عظة وعبرة.

ولكن الأمثال إنما يعقلها من تذكّر وعلم ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فالله جلّ جلاله نوّع الأمثال لتفكر ولتتّعظ ولتعتبر.

ومن أعظم الأمثال التي ضربها الله -جل وعلا- في هذا القرآن جعلها مثلا لتدبرها ولنعي ما فيها أمثال قصص الأنبياء والمرسلين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: ١١١].

وإنّ من تلكم القصص وتلكم الأمثال قصة تلك القرية التي بعث الله -جل وعلا- إليها رسلا، قال سبحانه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ

مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [يس:١٣-١٧]، لقد جاء الله -جل وعلا- تلك القرية برسل هم أكرم الخلق عليه، برسل هم كريمون عليه، مقدّمون عنده -جل وعلا- بما حباهم به، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

لقد أرسل الله رسولين إلى تلك القرية لتعظم الحجة عليهم وليكونوا على بينة من عظم هذا الأمر الذي جاءت به الرسل، أرسل الله لهم اثنين، فكذب هذين الاثنين أهل القرية أشدّ تكذيب، فعزّز الله -جل وعلا- أولئك برسل ثالث، فقال الرسل جميعا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ أكدوا تلك الرسالة وأنهم ليسوا بكاذبين، وأنهم أهل صدق، وإنما وظيفتهم أن يُبلّغوا رسالات الله، وأنهم إن لم يؤخذ بما قالوا فإنما يخشون الله، الذين يخشون الله حقّ خشيته أولئك هم الرسل الذين بعثهم الله -جل وعلا-، بعثهم الله لإنقاذ الناس.

أرسل الله -جل وعلا- هؤلاء الثلاثة، فقالوا لأصحاب القرية ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ فماذا كان جواب أهل القرية؟ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ لقد منعهم من التصديق أن أولئك الرسل كانوا بشرا، أرادوا أن يكونوا ملائكة، ولو كانوا ملائكة فكيف سيفهمون عنهم؟ وكيف يعقلون كلامهم؟ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩].

إنّ أولئك رفضوا الحق بشبهة في ظاهرها قد يكون يعتذر بعضهم إلى بعض بها، ولكنها في الحقيقة ليست بشيء.

وهكذا دائما أصحاب الشبهات، يُوقع الشيطان في قلوبهم الشبه فيقنعهم أنّها شبهة حق، وأنهم لو أتاهم الحق واضحا لقبّلوا ذلك، مع أنّ البينات كانت كافية وكانت باقية وكانت واضحة جليّة، فإنّ أولئك المرسلين جاءوا من عند الله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم، المؤيدة لدعواهم الرّسالة، وكفى بذلك حجة لمن سلّم قلبه، لكنهم أرادوا أن يكون الرسل من الملائكة، وتلك شبهة ألّقاها الشيطان في قلوبهم، إنّ الناس يحتاجون إلى رسل من البشر يعلمونهم بلسانهم؛ ويقتدي الناس بهم حتى يكون الدين مُتمثلاً أمامهم في بشره، يمشون به ويروحون به ويحيون.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ كذبوا بإنزال الله -جل وعلا- الكتب عليهم؛ قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ حصروا أولئك في الكذب، وكأنّ الكذب لم يتعداهم، وكأنهم هم في الكذب متمثلا فيهم لا يعدونه؛ ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

فكان جواب الرسل، جواب أهل الحق الثابت، الذين يدلون بالحق، ويعلمونه بكلمة واضحة، قال الرسل: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وكفى بشهادة الله شهادة، فهل يكون الرسول الذي أرسله الله وأيده بالمعجزات يكون كاذبا؟ إنَّ الرسول الذي يدّعي الرسالة لا يلبث أن يُعاقب.

إنَّ من ادعى رسالات الله في التاريخ لا بد أن تحقيق به العقوبة سريعا، وأما أن يقول: إني مرسل من عند الله ومؤيد من عند الله بالحجج والآيات والبراهين، ثم إنَّ الله يؤيده على خصمه وينصره، ويقوي حجته، فإن ذلك دليل على صدق رسالته، وإن ذلك دليل على أن الله جل جلاله بعثه مُرسلا إلى الناس ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

إنَّ الرَّجُل تكون عنده الحجة فيُلقي بها في الناس طيبا لفظها، طيبا معناها، فتسري في الناس في من أراد الله به خيرا.

وأما من صدَّ عن الحق، ولم يقبل الحق الذي جاءت به الرسل، ووجد حرجا في نفسه من كلام الرسل، ومن كلام من اصطفاهم الله -جل جلاله-، إنَّ أولئك البلاء في أنفسهم، وليس البلاء في الحق، البلاء في شهواتهم وشبهاتهم، وليس البلاء في ما أنزل الله، وفيما بلغته الرسل من عند الله.

ورسل الله صادقون مصدوقون لا ينطقون عن الهوى، قالت الرسل: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ فماذا كان جواب أولئك الذين كذبوا الرسل؟ ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس:١٨]؛ تطيَّروا بهم؛ قالوا: إن سبب ما جاءنا من الشر وسبب ما جاءنا من البلاء إنما هو من جهتكم، إنما هو من أسبابكم، أمّا نحن فإننا مستحقون لكل فضل من الله ولكل رحمة من الله، ولكن سبب بلائنا أنتم أيها الرسل؛ لأنكم خالفتم ما عهدنا عليه الآباء، وما عهدنا عليه من سبقنا في عباداتهم للآلهة المختلفة وفي اتباعهم لكبرائهم؛ ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس:١٨]؛ يعني إن لم تتركوا ذلك فلنرجمَنَّكم ولنقتلَنَّكم وأيضا ليمسَّنكم -أقسموا على ذلك- منا عذاب أليم.

فكان جواب الرسل جواب مطمئن إلى الله الذي أنسَ بما عند الله، المصدّق بوعد الله، قالت الرسل: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يس:١٩] يعني سبب شقائكم، وسبب التطير، وسبب ما سيحيط بكم من البلاء، إنما هو معكم مُلازمكم، وهو ما طارَ عنكم من عمل الشر، وما طارَ عنكم من سوء، وما طارَ عنكم من تكذيب الرسل وعدم الإيمان بكتب الله وبما أنزل الله على رسوله.

قالت الرسل: ﴿أَنْتُمْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩] يعني: أتقتلوننا لأجل التذكير بالله وبسنة الله وبالصدق بما أنزل الله في كتابه؟ أتقتلوننا لذلك؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فسبب ذلك الإسراف إسرافكم في الأمر، وإسرافكم في أنفسكم، ومجاوزتكم للحد الذي أذن الله به.

وهكذا كل من خالف الرسل من الذين اتبعوا شهواتهم واتبعوا شبهاتهم، إن أولئك دائما حجتهم من جنس تلك الحجة، يظنون أن البلاء من جهة المذكّرين، وأن سبب ما يصيب الناس، إنما من هو جهة الذين ذكروهم بما أنزل الله في كتابه، وهذه حجة قديمة جديدة ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

ثم بيّن الله -جل جلاله- وظيفة رجل من المؤمنين آمن بما جاءت به الرسل، فأتى واعظا لقومه، مذكرا لهم، قال سبحانه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ وهي تلك القرية ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾، قال المفسرون في قوله: ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ ما يشعر أنه ليس من أغنياء الناس؛ بل من فقرائهم، وليس من أهل الجاه؛ بل هم ممن يرفض قوله الأكثرون؛ لأنه جاء من أقصى المدينة، وعادة الناس في الأزمنة الأولى أن الأشراف والكبراء يسكنون وسط المدن، وأن من هم دونهم يسكنون الأطراف والأقصى من المدينة.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ لقد كان حريصا أن يتبع أولئك الناس المرسلين، فيتبعوهم فيما جاءوا به من الحق وينصروهم ولا يخذلوهم؛ لأنّ في ذلك أسباب السعادة في الدنيا والأخرى، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم علّل ذلك بقوله ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]، إنّ من أدلة صدقهم أنهم مهتدون على صراط الله، وأنهم وحدوا الله -جل جلاله-، وأنهم دعوا إلى أفراد الله -جل وعلا- بالعبادة، دعوا إلى ذلك وكانوا على بصيرة في ذلك الأمر، وهم لم يسألوا الناس أجرا ولم يتكلّفوا، قال: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يعني اتبعوا من لا يطلب منكم مالا، والحال أنّه من المهتدين؛ لأنّ من الناس من يكون لا يسأل الناس أجرا في دعوته ولكنه على ضلالة على مخالفة للرسل.

والناس قد يظنون أنّ كلّ زاهد أو أن كل من لم يسأل الناس أجرا أو أنّ كل مدافع عن حقوق الناس أنه يكون على هداية.

وهذه الآية فيها التنبيه على أنّه لا بد أن يكون مع الأول أن يكون على هداية، والهداية هي الهداية إلى طريق الرسل الذي بينه الله -جل وعلا- في كتابه، ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾،

فالقضية ليست أنهم لم يسألوا الناس أجرا فحسب، بل القضية الكبرى أنهم على هداية من الله؛ أن حالهم الهداية، أنهم اهتدوا بهداية الله، وأخذوا ما أنزل الله، ولم يفرّقوا بين أمر الله، لم يفرّقوا بين كلام الله، بل كانوا على وفق ما يحبُّ الله ويرضى، ابتعدوا عن المشتبهات، وأخذوا بالحق، فكانوا على الهداية، وقَبِلوا ما أمرهم الله به، فكانت تلك الهداية للمرسلين.

وكذلك تكون تلك الهداية لكل من اتّبع الرسل، قال الله جل وعلا مخبرا عن قِليل ذلك الرجل الصالح: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢١] يقول: لماذا لا أعبد الله الذي فطرني؟ لماذا لا أعبد الواحد الأحد، وأعلق قلبي به، وأدلّ الناس عليه، وأجعلهم مطمئنين إلى الله، عابدين له وحده دون ما سواه، خالعين للأنداد؟

وهذه هي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، أن دعوتهم ودعوة أتباعهم إلى التوحيد الخالص، ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قال -جل وعلا- لنبیه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال ذلك الرجل الصالح: ﴿ءَاتَاكَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ يُرْذَنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس:٢٣-٢٤].

إذن كانت دعوة الرسل ودعوة ذلك الرجل الصالح -فيما دعا به قومه- كانت في توحيد الله وردّ الناس إلى التعلّق بالله؛ لأنها مهمة المصلحين؛ لأنّها مهمّة الذين يريدون أن يعلقوا قلوب الناس بالله -جل جلاله-، فإذا صلحت القلوب وصلح الناس أنزل الله -جل وعلا- البركات على الأرض، وأذن بما يأذن به من سننه الكونية.

قال جل وعلا مخبرا عن قوله: ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعني إن كنت على تلك الحال من الشرك فإني على ضلال مبين.

نعم، كانت تلك أقواله، وكانت تلك دعوته، فما كان منهم إلا أن قتلوه، ما كان منهم إلا أن توجهوا إليه بالتهديد، لما قال لهم: ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ توجه إليهم بكلمة الحق، فقال: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [يس:٢٥]:

• إما أن يكون توجه إلى المرسلين.

• وإما أن يكون توجه إلى الناس

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ [يس:٢٥] فلما قال ذلك بادروا إليه وقتلوه، فَتَلَقَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ بقولهم: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس:٢٦]؛ لأنه دعا إلى ما دعت إليه المرسلون؛ لأنه كان على حق واضح ثابت، دعا إلى ما دعت إليه المرسلون، واتبع سيرتهم، وجاهد في ذلك، ولو كان في ذلك بذل نفسه، تلقته الملائكة أن لا تخف ولا تحزن وادخل الجنة، فنظر لما دخل الجنة ورأى النعيم، تذكّر قومه، ورحم قومه فقال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦-٢٧]، أدركته الرحمة، أدركته رحمة الخلق.

وهكذا الداعية الصالح الناجح؛ يأمر الناس بما أمر الله به، وهو رحيم بهم، يرحم العاصي أن عصي، ويرحم الضال أن ضل، ويرحم الناس أن يكونوا ليسوا من أهل الجنة، ويؤدّه لو بذل نفسه ودخل الناس جميعاً جنة الله جل جلاله.

قال الإمام أحمد: "وددت لو أن جسدي قُرِضَ بالمقاريض وأنّ الخلق أطاعوا الله جل جلاله" وددت لو أن جسدي قُرِضَ بالمقاريض، وأنّ الخلق أطاعوا الله جل جلاله؛ لأنه يحبّ المؤمنين، ويحبّ أهل الإسلام، ويحبّ أن يكون خلق الله جميعاً من أهل الجنة، لكن ذلك لا يمكن أن يكون؛ لأن الله ذرأ لجهنم النصيب، وذرأ للجنة النصيب، وكل سيأتيه المصير. أسأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا من أهل الجنة.

لما دخل الجنة وقتل ثم صار من قومه ما صار من تكذيب الرسل قال جل جلاله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُتَرَلِّينَ﴾ (٢٨) ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:٢٨-٢٩]، ليس الأمر بعسير على رب العالمين، لا يحتاج إلى جنود مجنّدة، إنما هي صيحة من السماء فأخذتهم صاعقة، أتتهم فأخذتهم، فكانوا أمواتاً فإذا هم خامدون، يا حسرة على العباد.

يا أيها المؤمنون؛ إنّ في قصص القرآن لعلّة، وإنّ الدعوة الصالحة الناجحة لا بد أن يكون فيها ومعها ولها التدبّر الأعظم، أن يكون لها التدبّر الأعظم في سنن الله، وفي قصص القرآن، وفي دعوة الأنبياء والمرسلين؛ لأنّ من أخذ بدعوتهم، من أخذ بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلّم من أخذ بسنته فإنه على نجاح في دعوته، ولو لبثت دعوته ما لبث نوح في قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. لكن المهم أن يكون الطريق صواباً، وليس المهم أن تكون الطريق قصيرة؛ لأن مع الصواب رضا الله جل جلاله.

أَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنِيَّ وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،
وَمِنَ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَمِنَ الَّذِينَ يَرُدُّونَ حَوْضَهُ فَيَسْقُونَ مِنْهُ سَقِيَّةً وَيَشْرَبُونَ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُونَ
بَعْدَهَا أَبَدًا، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ الْمُنِيِّينَ إِلَيْهِ، الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تَلَيْتَ
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلَى رَحْمِهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَاسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ
فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٥-٨] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا وتوبوا إليه
صدقًا إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وتركنا على
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هالك.
هَذَا وَإِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَابَ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلَّ
مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.
وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ،
وَعَلَيْكُمْ بِزُورِ تَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ بِالتَّقْوَى فَخَارَكُمْ، وَرَفَعَتْكُمْ عِنْدَ لِقَائِكُمْ بِرَبِّكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَى
بِتَعْظِيمِكُمْ أَمْرَهُ وَإِجْلَالِكُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْفَوْزَ الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ فَ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

هَذَا وَعَلِّمُوا رَحِمَنِي اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ- أَمَرَنَا جَمِيعًا بِأَمْرِ جَلِيلٍ، بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَتَنَّى
بِمَلَائِكَتِهِ، وَمُصَلِّحَتُهُ عَائِدَةٌ لَنَا، فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ

واحدة صلى الله عليه بها عشرا^(١)؛ يعني من قال: اللهم صل على محمد وسلم تسليما كثيرا. مرة واحدة أثنى الله عليه بها في الملائكة الأعلى عشر مرات.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام وأهله، اللهم أعز الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله، اللهم أعز الإسلام والمسلمين في كل مكان، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، الذين يجاهدون لرفع راية توحيدك ونصرة سنة نبيك، فإنك أنت القوي العزيز، فقومهم وأعزهم على عدوك وعدوهم يا رب العالمين.

اللهم نسألك أمنا وأمانا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم بتوفيقك، اللهم وفقهم بتوفيقك، ودلهم على طرق الخيرات وغلق عليهم ترك الشرور والمنكرات. اللهم اجعل ولايتنا لمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أكرم الأكرمين.

اللهم نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة يا أرحم الراحمين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أرسل علينا الغيث، واجعل ما أنزلته لنا عوناً عن طاعتك وبلاغاً إلى حين، اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً، واجعله سقياً رحمة لا سقياً عذاب، ولا غرقاً يا أرحم الراحمين.

اللهم أحیی به البلاد وانفع به العباد، وأنت خزائنك لا تنفذ، خزائنك ملأى، فأنزل علينا من رحمتك غيثاً مغيثاً، اللهم اجعله رحمة ولا تجعله غرقاً ولا عذاباً، واغفر لنا ذنوبنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، فإننا نستغفرك إنك كنت غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً يا أكرم الأكرمين. اللهم أصلحنا جميعاً، اللهم لا تمتنا إلا وقد وفقنا لتوبة نصوح.

(١) مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، حديث رقم (٤٠٨).

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، فاذكروه دائما
يذكركم، واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

إصلاح المجتمع مسؤولية الجميع

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي جعل هذه الأمة عزيزة بإيمانها، قوية بإسلامها، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس؛ ندعوا إلى الخير ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونعين على الحق ونبطل الباطل.

الحمد لله الذي جعلنا كما يحب ربنا ويرضى.

والحمد له أن شرفنا بذلك، والحمد له أولا وآخرا أن هدانا للإسلام، وجعلنا من أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد، كفاء ما أرشد وعلم وجاهد وبيّن، وكفاء ما تركنا على البيضاء ليُها كنهارها لا يزيع بعده عنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هالك.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ما تتابع الليل والنهار وما جاهد المسلمون الكفار.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، واعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا سنته واقرؤوا حديثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أقيموا سنة نبيكم، واقرؤوا حديثه، واجتهدوا ما استطعتم في أن تمتثلوا ذلك؛ فإن في ذلكم الخير العظيم المؤكد لكم في الدنيا والآخرة، أيها المؤمنون يقول الله جل وعلا: ﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧]، ويقول الله جل جلاله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ

بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴿[الأعراف: ١٠٠]﴾، ويقول جل جلاله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في محكم التتريل، التي يبين الله -جل وعلا- بها أن من أخذ بآياته، وهي آياته المتلوة؛ كتاب الله جل جلاله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله جل وعلا وعد بالعيشة الهنيئة المستمرة في هذه الدنيا، وبالسعادة التامة بالآخرة، فإن العبد إذا كان من المؤمنين المتقين وأوتي الآيات فاستجاب لذلك ولم يصد عنها؛ بل أخذًا بقوة وعزم على نفسه بالامتثال لها، فإنه بذلك يكون من الذين وعدهم الله جل وعلا بما وعد به أوليائه الصالحين.

وأما إذا آتاه الله -جل وعلا- الآيات، فسمعها ن فسمع بلاغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لم يرفع بذلك رأسا، وآثر شهوته، وأخلد إلى الأرض، وأتبع هواه، فإنه متوعد بسلب النعم عليه، وبأن يكون قلبه قاسيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، ثم بعد ذلك يُبدل في أرضه بعد الأمن خوفا وبعد النعمة ضيقا وضنكا، ويبدل بعد الصحة مرضا، ويبدل بعد الاطمئنان سوءا في نفسه وفي من حوله. ولهذا حثَّ الله -جل جلاله- الأمة بأكملها، حثَّ أفرادها، حثَّ جماعاتها، حثَّ حكامها، حثَّ المحكومين، حثَّ الجميع على أن يكونوا من أهل الإيمان والتقوى وإذا كانوا كذلك فإنه تحل لهم مشاكلهم، وإنهم إذا كانوا كذلك، فإنَّ الله يفتح لهم أبواب الخيرات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿لو كانوا مؤمنين حقا لكانوا من أهل تلك الصِّفَةِ، فإذا كان الإيمان متبعضا وكانت التقوى متبعضة نتج من ذلك أن من كان على شيء من الإيمان فإنه يؤتى من البركات من السماء ومن بركات الأرض بقدر ما امتثل من الإيمان في الحالة العامة للناس غير حالتي الابتلاء والعقوبة.

أيها المؤمن، لا شك أن الإيمان يزيد وينقص، لا شك أن الإيمان في الأفراد يتبعص، فمن الناس من إيمانه عظيم، ومن الناس من إيمانه متوسط، ومن الناس من إيمانه ضعيف، وكذلك التقوى: فمن الناس من هو متق لله جل وعلا؛ معظم لله؛ مراقب لله. ومنهم من هو متوسط في ذلك؛ تغلبه نفسه وشيطانه، وتارة يرجع إلى ربه منيبا إليه تائبا إليه. ومنهم من تقواه ضعيفة؛ غلبة الشيطان له أكثر من يقظته.

وهكذا حال الأقوام وحال المجتمعات على ذلك النحو، والله -جل وعلا- وعد من كَمَل الإيمان بأن يبدّله من بعد خوفه أمنا، قال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

أيها المؤمن إن ذلك الاستخلاف من أساسياته أن يكون المسلمون مؤمنين في بلادهم، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبیننا خير الإيمان: ((والذي نفسي بيده لِيُتَمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسِيرَ الظُّعِينَةُ -يعني المرأة في هودجها- تسير من كذا إلى مكة لا تحشى إلا الله))^(١) من شدة الأمن الذي كان من أسبابه إتمام الإيمان وإتمام التقوى، تأمل قول الله جل وعلا: ﴿وَعَادًا وَتَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ إهم قد زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن سبيل الله؛ عن الصراط المستقيم، عن الحق، ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ كانوا أهل بصيرة، لم يكونوا أهل جهل وأهل عدم علم بالحق، بل كانوا مستبصرين، قد تبين لهم ما جاءت به الرسل، وقد تبين لهم ما في كتب الله، لكن آثروا طاعة الشيطان على طاعة الله، فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

وتأمل قول الله -جل وعلا- للذي آتاه الله جل وعلا آياته فانسلخ منها، قال بعد ذلك ربنا جل وعلا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إنه ليس مثلاً لواحد من الناس؛ بل هو مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، وينتج من ذلك أنه مثل أيضا -بتبعض صفات أولئك- مثل لمن كان فيه خصلة من ذلك، فإن الله جل جلاله يرضى عن العباد إذا أخذوا بشعره كاملا، ويرضى عنهم إذا جاهدوا أنفسهم بذلك، لهذا جعلهم خير أمة أخرجت للناس بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، إن الله جل جلاله جعل الأمم من سنته فيها أنهم إذا أطاعوه بارك لهم في أنفسهم بارك لهم في أولادهم وفي الأثر الإلهي (إني أنا الله لا إله إلا أنا إذا أطعت رضى، وإذا رضى بركت، وليس لبركتي نهاية، وإني أنا الله لا إله إلا أنا إذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، وإن لعنتي لتبلغ السابع من الولد من جراء فعل الآباء).

(١) البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٩٥).

أيها المؤمنون، إن علينا أن ننظر إلى واقع المسلمين اليوم، وواقعنا بخاصة وواقع المسلمين بعامة، وننظر بعين المتأكد غير الشاك أنّ ما أصاب الناس من خلل في أنفسهم، من خلل في أمنهم، من خلل في أموالهم، من خلل في اقتصادهم، من خلل في أحوالهم، إنما هو بسبب إعراضهم عن بعض ما أنزل الله جل جلاله، إن لم يكن ذلك من الابتلاء الذي ابتلى الله به عباده، ولكن الله بين لنا في كتابه أنه يعطي المؤمنين الذي آمنوا وعملوا الصالحات الاستخلاف بالأرض ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا، وإنّ أعلى ما تكون به طاعة الله في المجتمعات أن يُعبد الله وحده لا شريك له، فهذه سمة أهل الإيمان لأنه قال: ﴿وَلْيَبْدُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فسمة المجتمع المسلم الذي وعده الله بإحلال الخيرات عليه وبدفع النقم عنه، أنه يعبد الله وحده لا شريك له، يعبد به، يعبد ويأمر بعبادته، ويأمر بذلك، وينهى عن ضده من الشرك بالله، كما في بعض المجتمعات من الشرك بالله، ومن منابذة أهل التوحيد ومن إعلان السماح للشرك بالله، إن ذلك من أسباب حصول الويلات، ومن أسباب حصول التفرق والاختلاف ومن أسباب حلول الخوف، ﴿وَلْيَبْدُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ إن من أسباب حلول الخيرات أن يسعى الناس في الامتثال للكتاب والسنة، ولو أن أهل الكتاب؛ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

أيها المؤمن، إن صلاح المجتمعات نعم يكون بصلاح الدول ويكون بامتثال الدول لأمر الله -جل وعلا- لكن كما تكونوا يولى عليكم فإن بناء المجتمعات يكون من بناء خلاياها، وإن خلايا المجتمع إنما هي الأسر، إنما هي البيوت، فلو أصلح الناس بيوتهم، كل في شأنه، لو أصلحنا بيوتنا، وسعينا بالنصيحة الشرعية الموافقة للكتاب والسنة فيما بيننا شيئا فشيئا، لعم الخير وقل الشر، وليس وعد الله -جل وعلا- فيما ذكرنا في الآيات يكون لمجتمعه ليس فيهم مخالفة وليس فيه معصية، وإنما هو لمجتمع الخير فيه غالب؛ لأن الله جل جلاله وصف الإنسان بأنه ظلوم جهول، فلا بد أن تبقى هذه الصفة، ولا بد أن يبقى العصيان ليغفر الله جل وعلا للمستغفرين، ولكي يتوب الله على التائبين، وتظهر آثار اسمي الله الغفور والرحيم في عباده؛ لكن وعد الله يكون للمجتمع الذي خيره غالب على شره، وصلاح ذلك نبدؤه نحن. وإن من سمة بعض الناس أن يلقي باللائمة على من تولى الأمر؛ على الدول والحكومات، وينسى أنّ أولئك لم يجبروا الناس على شر، وإنما الناس الذين أقبلوا على الشر فيما رغبوا فيه، نعم اللوم على

الطائفتين، ولكن الإجماع لم يحصل، وصالح البيوت ممكن، وجهاد الشيطان وعد الله أهله بالخير العظيم، فإذا أخطأ غيرنا فهل يسوغ شرعا أو عقلا أن يلقي باللائمة على ذلك الغير وننسى أخطاءنا؟ إننا نرى أن في البيوت من الأخطاء ما نعلمه من تفريط في الواجبات، المساجد إذا رأيتها رأيت المصلين فيها من أبناء البلد قليل وأكثرهم من غيره.

إذا نظرت إلى أحوال الناس في امتثال أمر الله وجدت أن الغفلة سيطرت على القلوب وتحكمت إلا في ما شاء الله، حتى يرى المرء نفسه إذا أذنب كأنه لم يذنب، وإذا فرط في واجب كأنه لم يفرط في واجب، والله مطلع على العباد، والعبد إذا فعل غير الخير؛ فعل الشر، ولم يحس بفعله للشر وبفعله لغير ما يرضي الله فإنه متوعد بأن يُسلب عنه ما أعطي إياه من الخيرات، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فإن الناس في أسرهم وفي قبائلهم وفي مجتمعاتهم إذا أصلحوا شيئا فشيئا فإن الخير يعم، ونرى الله - جل وعلا- من أنفسنا خيرا للصالح والإصلاح، نُصلح فيما بيننا ونصلح فيما قد يظهر من الأخطاء في مجتمعاتنا بالطرق الشرعية المرعية، أما الرضا بغير ما يرضي الله فإن ذلك سبب لسلب الخيرات، والله جل جلاله ضرب لنا مثلا عظيما للذي أوتي الآيات فانسلخ منها وجعله مثلا للقوم لا للأفراد، ثم قال ﴿فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ.

إن علينا أن نشعر -أيها المؤمنون- بمهمة الصلاح والإصلاح، وما من أسرة إلا وفيهم قدوة يقتدى به، فإذا كانت القدوة غير صالحة، أو كانت القدوة قدوة في غير تمام الخير أو في غير الخير من الشر، فأن يرام الإصلاح، كذلك الأسر بعضها يقتدي ببعض، وحفظ النعمة التي بأيدينا ينبغي أن نتوجه إليه بالتضرع إلى الله أولا في حفظها وفي ثباتها، ثم أن نسعى جاهدين في طاعة الله، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

ثم تأمل أن من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف التي ينتج بها دخول المبادئ الهدامة، ودخول الشهوات، ودخول الشبهات تفريق بعض الناس بل تفريق الناس فيما أنزل الله -جل وعلا- وهم يعلمون ذلك قال جل وعلا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤]، نسوا حظا بما ذُكِّروا به فعاقبهم الله بماذا؟ عاقبهم الله بما وصف في قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤]؛ لأنهم فرطوا ولم يأخذوا

بكتائبهم ولم يطيعوا رسولهم، وتتابع عليهم الأزمنة دون صلاح وإصلاح، ودون توبة وإنابة، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وجعل لهم بعد الأمن خوفاً، فتفرقوا في البلاد شذر مذر، نسأل الله العفو والعافية.

أيها المؤمنون، إنَّ من الناس من يحلُّ له بإلقاء اللائمة دائماً في أخطاء الناس وفيما يحصل من الشر في المجتمعات الإسلامية يُلقى باللائمة دائماً على الحكومات والدول وعلى من وُلِّي الأمور، وهذا ليس بصحيح مطلقاً، فإنَّ عليهم من اللوم ما عليه، وإنَّ عليهم من الواجب ما عليه، وقد فرطوا وعصوا في كثير، ولكن الناس هم الذين قبلوا ذلك، وأقبلوا عليه فالإصلاح عند المصلحين يكون بالتوجه في إصلاح الناس بالدعوة؛ حتى يرفضوا الشر فيقبلوا الخير، ثم يتوجهون إلى من بيده الأمر بنصيحة شرعية صحيحة يقتضى فيها أثر السلف الصالح في ذلك؛ لأنه لن يُصلح الله آخر هذه الأمة إلا بالذي أصلح الله به أولها .

أسأل الله الكريم أن يجعلنا من المنيين حقاً، ومن الصادقين مع ربهم -جل وعلا-، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإعراضنا، وأن يعفو عمنَّ يُذنب منا، اللهم اغفر للمذنبين منا، اللهم اغفر لنا جميعاً فإننا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا مغفرة من عندك، إنك أنت الغفور الرحيم.

واسمعوا قول الله -جل وعلا- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشرُّ الأمور محدثاتها وكلُّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى؛ إنَّ بتعظيم الله وبخوف مقام الله إن في ذلك السعادة في الدنيا والأخرى، فاتقوا

الله حق التقوى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، هذا واعلموا أن من أسباب حفظ الله للنعم، ومن أسباب حفظ الله للأمن، ومن أسباب إغداق الأرزاق والأموال على الناس كما وعد الله جل وعلا من أسباب ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، فالأمر والنهي؛ الأمر بالمعروف والنهي للمنكر، إن فرطت به أمة، إن فرطت به دولة، إن فرط به مجتمع، إن فرط به الناس، فإن الله -جل جلاله- يلعن بعض هؤلاء، ويضرب قلوب بعضهم ببعض، كما فعل بني إسرائيل فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))، ^(١) فاتقوا الله، واتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، فالأمر بالمعروف والنهي على المنكر فرض على هذه الأمة على الكفاية، فلا بد أن نقوم به كما يجب لله -جل وعلا-، ويجب على من ولاه الله -جل وعلا- الأمر حماية الأمر والنهي؛ لأنه من خصائص الممكنين في الأرض ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني أمروا بإقامتها ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ أمروا بأدائها وجبها من الأموال الظاهرة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، أمروا به وساعدوا على الأمر به، ونهوا عن المنكر وساعدوا على النهي عنه، وأعلى المعروف التوحيد، وأعلى وأشنع المنكر الشرك، ثم يلي ذلك المعاصي، ثم يلي المعروف الذي أعلاه التوحيد: الطاعات، فواجب علينا السعي في ذلك.

وإن المؤمن القاعد ليغشى أن يسلب الله -جل وعلا- النعم على من أنعم عليه بالنعم، وإننا إذا رأينا ما في الأمة الإسلامية بعامة من التحفظات ومن الضيق والظنك ومن الأحوال الاقتصادية المريعة، ومن ضعف الأحوال ومن، ومن، ومن.. فإن المسلم وإن العاقل يرجع ذلك إلى أسبابه الشرعية لأن القرآن فيه خبر من قبلنا وفيه نباء من بعدنا فيه الدواء وفيه الداء؛ بين الله ذلك كله، وإذا أخنا به أفلحنا، وإذا تركناه خسرنا وخسرنا، نعوذ بالله من حال الهالكين.

اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله -جل جلاله- أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور

^(١) مسلم: كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم (٢٧٤٢).

والجبين الأزهر، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يعدلون،
وعنّا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذِلّ الشرك والمشركين واحمِ حَوْزَةَ الدين، وانصر عبادك الموحدين،
اللهم انصر المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك لرفع راية التوحيد وإحقيق الكتاب والسنة يا أرحم
الراحمين.

اللهم آمنا في دورنا، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة
أمرنا، اللهم وفقهم إلى الخيرات...



خطبة جمعة تقوى الله جلّ جلاله

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله جعل للمتقين مفازا حدائق وأعنابا.

الحمد لله الذي بفضلله اتقى المتقون ربهم.

الحمد لله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، نثني على الله بالخير كله، نثني عليه بأسمائه، نثني عليه بصفاته، نثني عليه بتوحيده في الربوبية وأن لا ربّ سواه، ونثني عليه بتوحيده في الإلهية وأن لا معبود حق إلا هو، ونثني عليه بأنه ذو الأسماء الحسنى التي بلغت في الحسن نهايته، ونثني عليه بأنه ذو الصفات العلى التي علت على صفات خلقه.

فالحمد لله الذي أثني عليه المتقون، أثني عليه الأنبياء والمرسلون، فرفعهم بذلك الثناء درجات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف علينا من الدين الغمة، نشهد أنه لا خير إلا دنا عليه ولا شر إلا حذرنا منه، فطوبأ لمن قبل بشارته، وطوبأ لمن أخذ بالإنذار فعمل لما بعد الموت.

صلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوى.

أيها المؤمن، إن الله -جل جلاله- ذكر لنا في كتابه العظيم، ذكر لنا في هذا الكتاب العظيم صفات المتقين، وذكر أنه أمر المؤمنين بتقواه؛ بل إن الله -جل وعلا- ذكر لنا أنه وصّى جميع الناس بتقوى الله، وصّى الذين من قبلنا ووصانا بأن نتقي الله، وذكر لنا -جل وعلا- أن جميع المرسلين أوصوا أقوامهم بتقوى الله؛ وذلك لأن التقوى إذا جاورت القلب صلح القلب، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله وصلحت الأعمال، ثم بعد ذلك تأتي الآثار الطيبة للتقوى التي تسرّ العباد في حياتهم وآخرتهم، قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وبين -جل وعلا- هذا الجمل في آيات كثيرة، وبين أن نوحا عليه السلام أمر قومه بالتقوى، وأن هودا عليه السلام أمر قومه بالتقوى، وأن صالحا أمر قومه بالتقوى، وأن لوطا أمر قومه بالتقوى، وأن شعيبا أمر قومه بالتقوى.

وهكذا نبينا محمد عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام أمر الناس بتقوى الله عز وجل.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٨].

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٦].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٤].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦٣].

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٩].

وهكذا الناس جميعاً أمروا بتقوى الله -عز وجل- من قبل ومن بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وصية الله للأولين والآخرين أن اتقوا الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

أمر الله -جل وعلا- الناس جميعاً بتقواه وأمر المؤمنين بتقواه؛ بل أمر نبيه -عليه الصلاة والسلام- وهو أكمل الخلق بأن يتقى الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، وهذه صفة أهل الإيمان أنهم يأْمرون بالتقوى ويأْمرون بعضهم بعضاً بتقوى الله، فإذا أمر المأمور بتقوى الله فرح وأخذته الوجل من ذكر الله جل وعلا؛ لأن المؤمن إذا ذكر بالله وجل قلبه بخلاف أهل العصيان وأهل الشهوات وأهل الطغيان فإنهم كما وصفهم الله جل وعلا بقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، صفة المؤمن أنه مُجِبٌّ للتقوى؛ لأنه يعلم أنه إن اتقى الله -جل وعلا- فإن الله -جل وعلا- معه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فالله مع

المتقين بتسديده وبتأييده وبتوقيفه وبتيسيره وبنصر المتقين على أعدائهم؛ لأن هذه المعية معية خاصة لأهل التقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

المتقون في حياتهم في سعادة عظيمة؛ لأنهم عظموا الله بتقواه فإذا ضاقت عليهم الأمور جعل الله لهم من كل ضيق مخرجاً ومن كل بلاء عافية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فالمتقون تيسر أمورهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

المتقي -أيها العبد- إن اتقيت الله كفر الله عنك سيئاتك التي إن قابلتك يوم القيامة فإنك ستكون في خوف عظيم؛ أن تكون ممن يكبه الله -جل وعلا- في النار ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا﴾ [النبا: ٣١-٣٣].

كذلك الأمة التي تتقي الله وعدّها الله جل وعلا بأن يبارك لها فيما أعطاها وأن يوسع لها في أرزاقها، وأنها إن تخلفت عن التقوى فإن ذلك شرّ لها، وهي متوعّدة بسلب النعم التي أفاضها الله -جل وعلا- عليها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَآَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، إن المتقين إذا أحلّ الله جل وعلا العذاب بالمخالفين المكذبين بالرسول الكافرين لنعمة الله يُنجي الله المتقين بمفازتهم كما أخبر الله جل وعلا بقوله: ﴿وَأُنَجِّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَجِّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨].

إذن فالتقوى -يا عبد الله- إذن فالتقوى أمر عظيم عظيم، إذا جاورت القلب صلح القلب وصلاح الجسد وصلاح الحياة؛ بل صلحت الآخرة التي هي أعظم من الحياة، فإن القلب المتقي آنس بالله، آنس بمناجاته، آنس بطاعته، آنس بالسكوت إن سكت، آنس بالكلام إن تكلم؛ لأنه إن تكلم فإنما يتكلم برضا الله، وإن سكت فإنما يسكت عن معصية الله ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

أيها المؤمنون إن حقيقة التقوى: أن تطيع الله على نور من الله، وأن تطيع الرسول صلى الله عليه وسلم على نور من الطاعة.

تطيع الله -جل وعلا- وأنت تخشى الآخرة، تطيع الله -جل وعلا- مخلصا في هذه الطاعة مجتنباً ما عنه
نهى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إن حقيقة التقوى طاعة الله وطاعة رسوله، فالذي يسعى في طاعة الله وطاعة رسوله ويمثل ذلك فهو
المحقق للتقوى، وأعلى ذلك أن يكون محققاً لتوحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لأنها التقوى التي أمر بها الناس
جميعاً في قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]؛ يعني وحدوه وأنبدوا الشرك وأقيموا قلوبكم
على إخلاص القصد والوجه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فتحقيق التقوى بطاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن لا يكون في قلبه إلا الله تَبَارَكَ
وَتَعَالَى، وأن تخلع من قلبك رؤية الخلق، أن تخلع من قلبك رؤية الدنيا إلا بما أذن الله -جل وعلا- في
ذلك.

فالمتقي ينظر اللجنة أمامه فيسعى إليها، وينظر النار أمامه فيهرب منها.

المتقي يرى الآخرة أمامه، يرى الموازين منصوبة، ويرى الصّحف تتطاير، فيعمل لذلك اليوم عُدَّتُهُ.

المتقي ينظر إلى سكنائه في بيته في القبر، فينظر بما يزينه، ينظر بما يريد أن يكون معه في قبره، ينظر إلى
ذلك فيحسن عمله الصالح، وينظر إلى ذلك فيكون على خوف ووجل من الذين يُعَذَّبُونَ في قبورهم وأن
يكون منهم.

إنَّ المتقي لله تراه مسارعاً في فرائض الله، تراه إذا نودي إلى الصلاة فإنه يسعى إليها، بخلاف الذين إذا
نودي للصلاة كأنهم لم يسمعوا، إذا نودي إلى الصلاة سعى إليها محباً لذلك، وإذا غفل عن ذلك أناب
واستغفر فيما بينه وبين الله -جل وعلا- وعظم الله أن يخالفه.

إن المتقي من يؤتي الزكاة.

إن المتقي من يقوم طاعةً لله.

إن المتقي من يؤدي فرائض الله.

أيضاً المتقي من يجتنب ما نهى الله عنه ورسوله.

فالمتقي ليس بصاحب غش في بيوعاته، الذي يتقي الله يتقي الله في خلقه، يتقي الله في حقوق العباد، لا
تجده يغش الناس في بيعه، لا تجده يغش الناس في شرائه، لا تجده يخون الأمانة.

المتقي تجده في عمله يحرص أن يكون كسبه حلالاً، وعمله على أحسن ما يمكنه.

المتقي تجده يخشى الله فيما يعمل، يخشى الله في بيته، يخشى الله في لفظه، يخشى الله في عمله، يحقق المصالح ويدرك المفاسد.

المتقي يخشى أن تزل قدمه في طاعة الشيطان بإتيان كبائر الذنوب من شرب الخمر والعياذ بالله، أو من إتيان الزنا، أو من غشيان وسائل الزنا، فإن القلب يتقلب، والعبد إذا سار في الوسائل رضا منه فإنه لا يؤمن، وهو مؤاخذ بالوسائل وبالغايات التي أداها إليه تساهله.

كذلك -أيها المؤمنون- المتقون لله مصلحون فيما بينهم، مصلحون لأسرهم، يسعون في الصلح، يسعون في الكلام الذي يقرب القلوب، ويتعدون عن الكلام الذين ينافر القلوب؛ لأن الله أمر بأن يصلح ذات بيننا فقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

إن المتقي لله يخشى أن يكون ممن فرق بين الناس، ويخشى أن يكون ممن سعى في القطيعة.

إن المتقي لله يسعى في الخير، ويحب الخير إلى الناس.

كذلك -أيها المؤمنون- إن الأمة المتقية لله والمجتمع المتقي لله هو الذي يخشى الله، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن ترك الأمر والنهي والتساهل في ذلك، إنه علامة ضعف التقوى، فإذا عظم المرء الله هان عليه الخلق في جنب الله جل جلاله، فينظر إلى أمر الله ولا يهمله هل الخلق راضون أم غير راضين.

وقد قيل للإمام أحمد: إن فلانا رجل صالح ما من أحد من جيرانه إلا وهو يثني عليه. فقال: أظنه رجل سوء. قالوا: لم؟ قال: ولا بد أن يكون من جيرانه المقصر، فإذا سكت عن الجميع رضي عنه الجميع، وأما إن أمر ونهى، فلا بد أن يكون مغضبا للخلق في جنب الله جل جلاله.

المؤمن يأمر بتقوى الله، ويحقق التقوى بحسب ما يستطيع، وإذا فرط فإنه يستغفر ويُنيب، إن المتقين لهم عند الله -جل وعلا- المقامات العالية، إن الله يحب الذين اتقوا، إن الله مع المتقين، إن الله ينصر الذين اتقوا وينصر المتقين، ينصر المطيعين ويسهل لهم أمورهم.

إن المجتمعات إذا كانت مطيعة لله فإن الله وعدّها بالسعة في أرزاقها وبالخلاص من مشاكلها الاقتصادية والسياسية ومن مشاكلها المتنوعة؛ لأن بتقوى الله يجعل الله من كل ضيق فرجا، يجعل الله له من كل ضيق مخرجا، يجعل الله له من كل بلاء عافية.

والله -جل وعلا- حثنا على التقوى، فهلا حققنا ذلك هلا عظمنا الله وخفنا النار وأقبلنا على الجنة، هلا أمرنا قلوبنا بتقوى الله فلهجت ألسنتنا بذكر الله لا الغيبة لا النيمة، فإن الغيبة محبطة لما يقابلها من الأعمال؛ لأن الغيبة سيئة والسيئات تنقص معها الحسنات.

يوم القيامة إذا وُزن الناس وضعت الموازين القسط قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، نعم إن الناس يُكبون في النار على مناخرهم من حصائد ألسنتهم، فعلينا أن نعظم تقوى الله، علينا إذا أردنا السعة والطيبة في هذه الحياة وعند لقاء الله ومن كان يرجو لقاء الله فليعمل عملاً صالحاً، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً، من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت لاشك في ذلك ولا ريب، وإن الحياة ميدان للعمل وليست بغاية، فالذي ينظر إليها وأنها غاية فإن هذا أوتي من عقله، ولهذا الله -جل وعلا- يعظم ذوي البال وذوي العقول وأنهم المنتفعون بالذكر وأنهم المنتفعون بالتذكير. أسأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا وإياكم من المتقين المحكمين لكتابه في أنفسنا، وأن يمن علينا بالعمل الصالح وبتعظيم الله -جل جلاله- وبإتيان الفرائض والامتنال لها وبالبعد عن المحرمات وعن التفريط في فرائض الله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واسمعوا قول الله -جل جلاله- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون، إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل بمحدثه بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإنه ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلّم- أنه قال: ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ

الْحَسَنَةُ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))^(١) فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ بِالْإِجْمَاعِ وَاجِبَةً، وَإِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا خَالَفَ أَنْ يَسْرَعَ فِي الْحَسَنَاتِ فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبُنَ السَّيِّئَاتِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

فلنتق الله ولنسارع في الحسنات فإننا أحوج ما نكون إلى أن تكفر عنا سيئاتنا ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

نعم -أيها المؤمن- إنك بحاجة إلى ثقل الميزان، إنك بحاجة إلى أن تكون موازينك راجحة، الله الله في نفسك، الله الله في أهلك، الله الله في حياتك، اتق الله في حياتك أن تكون حياتك ليست بطيبة، ليست مقربة إلى دار الكرامة.

هَذَا وَاعْلَمُوا -رحمني الله وإياكم- أَنْ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ- أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَاحْمِ حُوزَةَ الدِّينِ، وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ. اللَّهُمَّ أَنْصُرِ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ آيِدْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، يَا قَوِي يَا عَزِيزَ قُوهِمْ وَأَعِزَّهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ، أَنْتَ الرَّحِيمُ فَارْحَمِهِمْ، وَأَنْتَ الْقَوِيُّ فَقَوِّهِمْ، وَأَنْتَ الْجَبَّارُ فَاجْبِرْ كَسْرَنَا وَضَعْفَنَا وَكَسْرَهُمْ وَضَعْفَهُمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ آمَنَا فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلَحْ وَوَفِّقْ أَيْمَتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، وَدُلِّهِمْ عَلَى الرِّشَادِ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَبِيلِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفُسَادِ. يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ عَنَّا الرِّبَا وَالزُّنَا وَأَسْبَابَهُ، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنَّا الزَّلَازِلَ وَالْخَنَ وَسُوءَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، عَن بِلَادِنَا هَذِهِ بِخَاصَّةٍ وَعَن سَائِرِ بِلَادِ الْمُؤْمِنِينَ بِعَامَةٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

^(١) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس، حديث رقم (١٩٨٧). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: حسن.

اللهم لا تُثمتنا إلا وقد وفقتنا لتوبة نصوح.

اللهم نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم اجعلنا وأحبابنا وأهلينا وذرائعنا ووالدينا والمسلمين في جنات النعيم.

اللهم هوّن علينا يوم الفزع الأكبر واجعلنا ممن يأخذ كتابه باليمين، اللهم اجعلنا كذلك فإنك أرحم

الراحمين وأجود الأجودين، نعوذ بك مما فعلنا من سوء نعوذ بك مما فعلنا من سوء، فنسألك مغفرة

فإنك أنت الغفار الرحيم.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما

تصنعون.



خطبة جمعة

الاقتداء بالسنة فعلا وتركاً

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليفه، ونشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف علينا من الدين الغمة وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبيه محمد، اللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبيا عن أمته؛ لأنه لا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، هو صاحب الحوض المورود يوم القيامة، وصاحب اللواء المحمود، الذي يحمده عليه كل الخلائق، فصلّى الله وسلم على نبينا محمد، دائماً وأبداً وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله، إن الله -جل جلاله- جعل نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- هو القائم لهذه الأمة بالحجة، فإن ما فعله -عليه الصلاة والسلام- هو الحق الذي يجب أو يستحب اتباعه فيه، وما تركه -عليه الصلاة والسلام- من الأمور التي قد يظن أنه يقرب إلى الله جل جلاله فإن تركه دين وإن تركه حق، والاقتداء به -عليه الصلاة والسلام- يكون في نوعي سنته: السنة الفعلية والسنة التركية.

فإن سنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منها سنن فعلها فنأخذ السنة من أنه فعلها -عليه الصلاة والسلام-، كما فعل العبادات وكما فعل المعاملات، وكل ذلك من السنن التي يقتضى فيها أثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه هو الأسوة والقُدوة والإمام لنا -عليه الصلاة والسلام-.

وكذلك من سنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- السنة التركية؛ يعني أنه ترك أشياء -عليه الصلاة والسلام- فيكون الإقتداء به -عليه الصلاة والسلام- والائتساء به في تركها لأن من الأمور ما تركه -عليه الصلاة والسلام- مع قيام المقتضى لفعله -عليه الصلاة والسلام- في عهده وعدم المانع من فعله في وقته وحياته -عليه الصلاة والسلام-.

فخذ مثلاً من السنن التركية المولد؛ لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلم يوم مولده وهو -عليه الصلاة والسلام-، وأصحابه يسعون فيما يقربهم إلى الله كما يحبب في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من

الأقوال والأعمال والاعتقادات دلّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأُمَّة عليه، فلما كان المقتضي لذلك وهو محبته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعدم المانع من ذلك من القيام بحفلات المولد وما أشبهها، لا وجود لمانع يمنع في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت القاعدة منطبقة من أن المقتضي للفعل قائم، وإن المانع من الفعل ليس بموجود، فيكون إحداثه إحداث لأمر على خلاف السنة، فترك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاحتفالات بالمولد وما أشبه ذلك؛ لأن تركه عبادة كما ترك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشياء مما قد يُظن أنها تقرب إلى الله، إنه مثل ما فعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأشياء التي تقرب إلى الله، فما فعل فيؤتسى به في فعله، وما ترك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيؤتسى به في تركه، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة لنا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، هكذا كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه. وسننه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- منها الفعلية ومنها التركية، فنقتدي به في فعله ونقتدي به في تركه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولما كان الأمر قد توسّع الناس فيه بعده -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بعد انقضاء القرون المفضلة ونشأت البدع والمحدثات، قام أهل العلم بتبصير الناس بالبدع والمحدثات وأنها لا تجوز؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن البدع ونهى عن المحدثات فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))^(١) يعني مردود على صاحبه، ((من أحدث في أمرنا هذا)) من الاعتقادات أو من الأعمال أو من الأقوال أو من الأحوال ما ليس عليه أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((فهو رد)) أي مردود على صاحبه، كائنا من كان، عالما أو طالب علم أو كان عابدا أو زاهدا؛ لأنه رام مخالفة سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال أيضا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بخصوص العمل: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))^(٢) ولهذا قال أهل العلم: إن المحدثات من البدع. وإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم ٢٦٩٧.

مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم ١٧١٨.

(٢) البخاري: كتاب البيوع، باب النجش، تعليقا.

مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨).

وَسَلَّمَ جَعَلَ المحدثات في الدين من البدع، فقال: ((إِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))^(١) والبدع هي كل ما خالف الحق الذي كان عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلم أو العمل أو الحال بنوع شبهة أو استحسان، ويُراد من ذلك أن يكون طريقاً مقرباً إلى الله، ديناً قويمًا أو صراطاً مستقيماً، هكذا عرف طائفة من أهل العلم البدع.

فالبدع هي كل ما خالف الحق الذي كان عليه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في العلم أو العمل أو الحال بنوع شبهة أو استحسان وجَعَلَ ذلك ديناً قويمًا وصراطاً مستقيماً. هذه هي البدعة. وعرفها بعض أهل العلم بأنها: طريقة في الدين مخترعة، يراد منها مضاهاة الطريقة التي كان عليها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ يعني في التقرب بها إلى الله جل جلاله.

وإذا تأملت ذلك وجدت أن هذه الأمة منذ انقضاء القرون الثلاثة المفضلة وشيوع اختلاط الناس بأهل الكفر أو بأهل الزندقة أو بالأجناس المختلفة من الناس، إن هذا الاختلاف أحدث في الناس بدعا وسهّل سبيل البدع؛ لأنّ الناس بعدوا عن الطريق المستقيم، فرام بعض الصالحين أن يقربوا الناس إلى ربهم بخلاف سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأحدثوا لهم بعض ما يتقربون به إلى ربهم جل وعلا، ظنا منهم أن ذلك من المستحسنات؛ لأنهم أحدثوا طرائق تقرب إلى الله، والطريق التي تقرب إلى الله يجب أن تكون موافقة لسنة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال الإمام مالك: من تقرّب إلى الله بشيء ليس عليه أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد زعم أن الدين ناقص، وأن محمداً لم يُبلغ الرسالة كاملة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

سنن أبي داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧).

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرياض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٩).

وإن مما أحدثه الناس -أيها المؤمنون- أنواع الابتداع في شهر رجب، في شهر رجب أحدث الناس أنواعاً مما يظنون أنه يقربهم إلى الله جل جلاله، فظنوا أن شهر رجب له ميزات خاصة عن غيره من الشهور بشيء لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأحدثوا في شهر رجب أنواعاً من العبادات وحثوا الناس عليها ظنوا أنها تقربهم إلى الله جل جلاله، فأحدثوا أنواعاً من الصلوات كالصلاة الألفية في أول رجب وكصلاة الرغائب في أول ليلة الجمعة من أول شهر رجب وكأنواع الصدقات في شهر رجب وكالعمرة في شهر رجب وكالذبح والتصدق باللحم في شهر رجب.

وكل ذلك من أنواع البدع المحدثه التي لم يفعلها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل وتركها، فإن السنة التركية له -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- تقتضي أن يجتنب ما تركه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فمرّ عدة أشهر من رجب على عهد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن هاجر إلى المدينة ولم يحدث فيها صلاة خاصة ولا صياماً خاصاً ولا صدقات خاصة ولا اعتمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رجب؛ بل كانت عُمُرُهُ كُلُّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في شهر ذي القعدة ولم يعتمر قط في شهر رجب. كذلك لم يؤثر عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- التصديق بشيء خاص في شهر رجب. كذلك لم يصح عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حديث في فضل الصيام في شهر رجب، صيام أول يوم أو ثاني يوم أو ثالث يوم أو صيام بعض الأيام من شهر رجب، فإن الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله قال: لم يصح عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث في صيام شهر رجب أو صيام أيام منه أو الاعتناء بشهر رجب.

وذلك لأن شهر رجب ليس له في الشريعة مزية، إلا مزية واحدة وهو أنه من الأشهر الحرم التي حرمها الله -جل جلاله- في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((هي ثلاثة أشهر متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، وشهر محرم، ثم شهر فرد وهو: رجب مضر))^(١) يعني رجب الذي ينتسب إلى مضر؛ لأن مضر كانت تحرم شهر رجب كما نزل في الشريعة، وذلك أن هذا الشهر جعله الله محرماً فهو رحم النفس فيه، والله -جل وعلا- يخلق

(١) مسلم: كتاب القسامة والمحاريين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (١٦٧٩).

ما يشاء ويختار، فظلم النفس بالمعصية في هذا الشهر يكثر ذنبه وتعظم العقوبة عليه، وهكذا كل الأشهر الحرم الأربعة فمن ظلم نفسه بعصيان كبيرة من كبائر الذنوب في هذا الشهر، أو ظلم غيره من المسلمين في أعراضهم أو في أموالهم أو في أنفسهم إن ذلك المحرم يعظم وزره وتعظم العقوبة عليه في هذا الشهر الكريم شهر الله رجب؛ لأن الله حرمه وقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ يرجع إلى الأربعة الحرم في أحد وجهي التفسير عن صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن -أيها المؤمنون- يجب أن نفعل ما فعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إقتداءً به، وينبغي لنا أن نفعل المستحبات التي فعلها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إقتداءً به، وأما ما تركه فإنه يجب أن نتركه إقتداءً برسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فهو أسوة لنا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.

أيها المؤمنون فلنَعِ هذه المسألة، فليأمر بعضنا ببعضا بالمعروف ولينه بعضنا بعضا عن المنكر فإن البدع لا تقرب إلى الله؛ بل إنها تبعد عن الله -جل جلاله- لأنه ما أحد قوم بدعة إلا نُزِعَ عنهم من السنة مثلها؛ لأن الله حكم عدل فإنه يجازي.

فكما أنهم لم يرضوا بالسنة وفعلوا البدع، وكذلك يعاقبهم الله جل جلاله بأن يترع عنهم من السنة بعضا؛ لأنهم تركوا السنن وأخذوا البدع.

لهذا -أيها المؤمنون- لنع أمر السنة، فإن سنة رسول الله غالية على كل مسلم في اتباعها قولاً وعملاً واعتقاداً، ولا يسوغ أن تستحسن البدع، فإن البدع التي هي على خلاف ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن استحسانها استنقصا للشرعية، لأن الله جل وعلا كَمَّلَ لنا الدين.

وهذه المحدثات إنما أحدثت بعد القرن الثالث الهجري لما قامت الدولة العبيدية التي يسميها المؤرخون الدولة الفاطمية، وبخصوص ما أحدث من قيام ليلة النصف من شعبان، ومن قيام بعض الليالي في رجب، فإن ذلك إنما أحدث بعد سنة ثمان وأربعين وأربع مائة من الهجرة، وأول ما حدث في بيت المقدس عن طريق أحد العباد الذين جهلوا السنة فاقتدى الناس به؛ لأنهم يرونه من العباد ونسوا السنة، والعباد قد يجهل السنة كما قد يجهلها كثير من الناس، والعبرة إنما هي في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي فعله.

ولهذا علينا بالحق المأثور، علينا بما كان عليه سلف هذه الأمة الذين لم يفعلوا شيئاً من المحدثات في شهر رجب.

كذلك مما يُفعل في هذا الشهر الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج التي يزعمون أنها ليلة سبع وعشرين من هذا الشهر، وهذا لم يثبت بطريق صحيح عن ليلة الإسراء والمعراج أنها في هذه الليلة بخصوصها، ولو ثبتت أنها في هذه الليلة فلا يّ معنى مرت السنون على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يحتفل بها ولم يتصدق فيها، ولم يذبح فيها، ولم يُطعم الطعام فيها، ولم يجمع الناس فيها، ولم تنشد الأشعار فيها؛ لأي معنى ترك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك؟ إنه لمعنى ذلك منهى عنه ومحرم؛ لأن ما تركه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرين ما فعل ورسول الله أسوتنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أسأل الله -جل وعلا- أن يلزمننا كلمة التقوى وأن يجعلنا من المعتنين بسننه والمعتنين بأفعاله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن نفعل ما فعل لأجل أنه فعل، وأن نترك ما ترك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأجل أنه ترك.

وبهذا يكون الإقتداء ويكون الاتساء؛ لأن ثمة فرقا بين الموافقة وبين الاتساء، فمن فعل الشيء وكان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلُه وليس لفاعله نية الإقتداء به فإن هذه تسمى موافقة، ولا يؤجر صاحبها عليها لأنه لم ينو الإقتداء والاتساء.

ذلك إذا ترك وليس في نيته أن يترك لأجل أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك فإنه لا يؤجر على ذلك؛ لأنه لم يترك اتساءً واقتداءً برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه تسمى الموافقة في الشرع. أما الاتساء والاقتداء فأن تفعل الفعل لأنه فعل، وأن تترك الأمر لأنه ترك، فبهذا تؤجر على فعلك ونؤجر على تركك؛ لأنك اقتديت في ذلك برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللهم اجعلنا من المقتدين به، المؤتسين برسولك محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجعلنا من الذين يفعلون الفعل لفعله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن الذين يتركون الأمر لتركه له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اللهم فأجب سؤالنا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقا وتوبوا إليه صدقا إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله، فإن بالتقوى رفعتكم وفخاركم وأمنكم وأمانكم، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. هذا واعلموا رحماني الله وإياكم أن الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم مرغّب فيها ومأمور بها؛ بل عدها طائفة من أهل العلم واجبة كلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلّم، وقد أكّد ذلك ربنا وحثنا عليه بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال عليه الصلوة والسلام: ((من صلى عليّ واحدة صلى بها الله عليه عشرا))^(١)، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الخنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلّهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل الكفر والبغي والفساد. يا رب العالمين.

اللهم وفقهم بتوفيقك، اللهم وفقهم بتوفيقك، يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هذه بخاصة وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا أكرم الأكرمين.

اللهم لا تمننا إلا وقد وفقنا لتوبة نصوح، اللهم وفقنا إلى التوبة، اللهم نسألك توبة نصوحا، اللهم إنك أجود الأجودين وأكرم الأكرمين فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا تكلنا إلى أحد من خلقك، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك.

^(١) مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم بعد التشهد، حديث رقم (٤٠٨).

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما
تصنعون.



خطبة جمعة

اليوم الآخر

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليته. نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمة، وجاهد في الله حقّ الجهاد.

ونشهد أنه لا خير لنا إلا دُلّا عليه ولا شرّ لنا إلا حذرنا منه، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد كفاء ما أرشد وعلم، وكفاء ما هدى وأهم، وكفاء ما جاهد في الله حق الجهاد، اللهم صلّ وسلم على نبينا ورسولك محمد ما تتابع الليل والنهار. أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حقّ التقوى.

عباد الله يقول الله جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٨-٧٠]، في هذه الآيات ذكرى للإيمان بيوم الله الآخر، للإيمان بيوم المعاد الذي هو كائن لا محالة، فإن الإيمان بيوم الله الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد حتى يعلم ويتيقن دون ريب ولا تردد: أنّ ثم يوماً يرجع فيه الناس إلى الله فيحاسب المحسن والمسيء؛ فيجازى المحسن بإحسانه ويجازى المسيء بإساءته. والله جل جلاله قال في هذه الآيات ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ حين تُشرق الأرض بنور الله جلّ وعلا يضع الله جلّ وعلا كتاب الناس -كتاب كل أحد- الذي فيه أعماله: الذي فيه ما عمله من صالح واتبع فيه رسوله الله صلّى الله عليه وسلّم، وما عمل فيه من طالح فخالف فيه أمر الله جل وعلا وأمر رسوله، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) أَفْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ يعني ما يطير عنه وما ينفصل عنه من عمل -صالح كان أو غير صالح- فإنه مع المرء

يلازمه حتى يُخرج له يوم القيامة كتاب يلقاه منشورا أمامه، فيقرره الله -جل وعلا- بما فيه من العمل؛ ألم تعمل يا عبدي يوم كذا: كذا وكذا؟ ألم تعمل يوم كذا: كذا وكذا؟ فيقرر الله -جل وعلا- عباده بما عملوا من خير ومن سوء.

فأما المؤمن فإنه يقر بذلك وهو يرجو عفو الله.

وأما الكافر أو المنافق أو الفاسق فرما جادل في ذلك، والله -جلّ جلاله- يقيم عليه الحجة حتى يقول بعض أولئك المجادلين: يا ربنا أنت الحكم العدل لا نقبل علينا شهيدا إلا من أنفسنا. فيُنطق الله -جل وعلا- جلودهم، وينطق الله جل وعلا سمعهم، ويُنطق الله جل وعلا أبصارهم، ويُنطق الله جل وعلا جوارحهم بما اكتسبوا، ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢١-٢٤].

إنّه في ذلك اليوم تُنشر الكتب ويعرف المرء عمله، فيكون المؤمن فرحا مسرورا يأخذ كتابه بيمينه، ويكون الكافر أو الفاجر خائفا وجلا لا يدري ما يُصنع به، وترفع النار فيساق إليها الكفار وردا يساقون إليها فيتهاftون فيها تهاft الجراد.

وأما أهل الإيمان فإنهم يتأخرون، وكذلك الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا في أمر عَصِيب وتفصيل في ذلك اليوم، حتى تُقام الظلمة دون الجسر ويُصب الصراط على النار، والأنبياء يقولون وهم على الصراط: اللهم سلّم سلّم، اللهم سلّم سلّم. من شدة ما يرون من الهول، وكل لا يهّمه إلا نفسه، فإن المرء تهمه نفسه، فيأتي أهل الإيمان يمشون على الصراط بقدر أعمالهم، ويرون الصراط ودونه الظلمة؛ لأنهم يُعطون نورا فيعبر بعض أهل الإيمان كالبرق سرعة، وبعضهم يعبر كالراكب بسرعة، وبعضهم يمشي مشيا، وبعضهم يحبو حبوا، والقلوب خائفة وجلة في أمر عَصِيب؛ لأنه بعده عذاب سرمدي أو نعيم سرمدي، والناس إذا عبروا على الصراط فمن ناج مسلّم ومن مُكْرَدَسٍ في النار فينقي الله أهل الإيمان في النار إذا لم يشأ أن يغفر لهم؛ ينقي ما في قلوبهم من الخبث؛ لأنّ العاصي في قلبه خبث لا بد أن يُطهّر إن لم يغفر الله له ذلك، ويطهّره بتمّنه وكرمه، فتكون النار للكفار، وتكون طبقّتها العليا لأهل التوحيد يمشون فيها زمانا طويلا وهم في عذاب شديد، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى

يشفع الشُّفَّعاء وتبقى شفاعة رب العالمين، إلى آخر ما يحصل من ذلك، وإذا جاوز أهل الإيمان القنطرة جاوزوا الصُّراط اجتمعوا دون الجنة، فتأخَّر الأغنياء عن دخول الجنة بنصف يوم؛ يعني بخمسمائة سنة، ويدخل الفقراء الجنة أول الأمر؛ لأنَّ حقوق المال عظيمة ولأنَّ حقوق ما آتى الله عباده فيها أمر شديد وفيها حساب، فيؤخَّر الأغنياء حتى يعطى الناس منهم حقوقهم، وعن ذلك يحصل بلوغ المنازل لهم، ثم يدخل أولئك الأغنياء الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، ثم يدخل أهل الجنة الجنة، ودرجاتهم متفاوتة، وإنَّ منهم لمن يتراءى درجة إخوانه كما نرى اليوم الكوكب الدرّي الغابر في السماء، نرى بصيص نوره ولا نرى ما فيه لأجل شدة ارتفاعه، وإنَّ من الناس من هم مع الأنبياء ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ﴿[النساء: ٦٩-٧٠].

أيها المؤمن، إنَّ الإيمان باليوم الآخر لابد أن نتيقنه، وما يحصل فيه يجب أن يكون في قلوبنا من غير شك ولا مِرْيَة، نرى الجنة أمامنا دائما لا تغيب عنا، ونرى النار بهولها وعذابها وما فيها، نراها دائما لا تغيب عنا.

وهذه العقيدة وهذا الإيمان يُثمر في قلب المؤمن الرِّجاء في أن يكون من أهل الجنة، فيَحمله رجاءه على طاعة الله وعلى خوف الله وعلى أن يتنكَّب أن يأتي ما لم يأذن به الله جل وعلا، فترى الذي يخاف الدارَ الآخرة تراه مراقبا لنفسه، فيأتي الواجبات مسرعا مطيعا؛ من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وكذلك ما أمر الله به من أداء الأمانة، وكذلك ما أمر الله به من العدل في الناس، وكذلك ما أمر الله جلَّ وعلا به من أنواع الأوامر في التعامل مع النفس ومع الأهل في البيت ومع المسلمين ومع غير المسلمين، إنَّ لله في ذلك كله أوامر، فيرى المؤمن الذي يرى أمامه الجنة والنار، ويرى أمامه تطاير الصحف، ويرى أمامه الميزان والصراط وذلك الهول بما سمع في القرآن والسنة، يرى نفسه لابد أن يُلْزِمَهَا بتقوى الله، والمؤمن الذي يعي ذلك سيجد نفسه عظيما عليها أن يخالف أمر الله جلَّ وعلا، يرى نفسه عظيما عليها أن تخالف الحق أو أن تأتي بالباطل.

إنَّ العقيدة هذه؛ بالنار وبوجودها وبأنه يدخلها الكفار، وبأنه يدخلها العصاة إنَّ لم يغفر الله لهم وذلك في حق غير التائبين، إنَّ لم يشأ الله مغفرته لهم فإنهم يعذبون في ذلك، وعذاب النار من يصبر عليه؟ ويتذكر المؤمن أن من أولئك الذين يعذبون من يقول الكلمة لا يُلقى لها بالا يهوي بها في النار

سبعين خريفاً، يُلقى الرجل الكلمة وتُلقى المرأة الكلمة لا تُلقى لها بالا تظنُّ أنها سهلة وهي تموي بها في النار سبعين خريفاً، وقد جاء أن: من الناس من يقرب من الجنة فيُلقي كلمة يتكلم بكلمة ما يدري ما فيها يتباعد - كما جاء في الأثر - عن الجنة كبعد صنعاء عن المدينة. وهذا من شدة أثر الكلام لأنه نوع من أنواع ما يحاسب به العبد.

كذلك أعمال القلوب من الصالحات كالإيمان والتوكل والرغب في ما عند الله وخشية الله والبكاء من خشية الله وكتعليق القلب بالله وبأوامره، هذا يؤجر عليه، فيسعى المؤمن إليه. وأعمال القلوب المحرمة يراها من الكبر وسوء الظن، ومن سوء الظن بالمسلمين من غير حجة، وكذلك من أنواع الإعجاب بالنفس وتركية النفس ونحو ذلك من أعمال القلوب المحرمة يراها تعظم عليه.

وقد قال بعض أهل العلم: رب طالح كان أعظم عند الله من فاعل طاعة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: ذاك عمل بمعصية فلم تزل في قلبه عزيمة يتعاضمها في حق الله حتى يغفر الله له، وذاك صالح عمل بطاعة فما زال يتعاضم فعله ويُعجبه ذلك ويتكبر به ولا يحل من ربه ويخاف الله منه حتى يحبط الله عمله.

فالأمر أيها المؤمن -لأنك مؤمن بالآخرة- الأمر خطير والناس في غفلاتهم، وأعظم ما يعاقب به القلب أن يكون غافلاً لا يتذكر الجنة ولا يتذكر النار، لا يتذكر اليوم الآخر، تذكر قول الله جل وعلا: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، يشهد النبيون والشهداء أنه قد أُقيمت الجنة على عباد الله كما قال الله سبحانه: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، يسأل الله جل وعلا المرسلين: هل أدبتم هل بلغتم الأمانة؟ فيقولون: يا ربّ اللهم بلغنا. ويسأل الذين أرسل إليهم: هل بلغتم الأمانة وهل أتتكم رسلي فأعلمتكم بما أمرت ونهيت؟ فيقول الذين أرسل إليهم: نعم يا رب بلغنا، قال الله جل وعلا بعد ذلك: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨].

أيها المؤمنون: إن الذي تثقل موازينه هو المفلح، والذي تخف موازينه هو الخاسر، وأنت رقيب على نفسك، والدنيا لن تنفعنا، لن تنفعنا إلا إذا كانت ميداناً للطاعة، وإن غداً لناظره قريب، إن يوم القيامة لناظره قريب، وسيقول الناس يوم القيامة: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، سيرون ذلك حقاً حقاً، المؤمن يؤمن بذلك؛ ولكن عليه أن يكون إيمانه بذلك قوياً قوياً متيقناً وأن يستحضر ذلك الإيمان، فإن استحضاره دائماً بقي المرء الهلكة، والهلكة ليست في الدنيا وإنما الهلكة الصحيحة في الآخرة لمن خسر وخفت موازينه ودخل النار، قال جل وعلا: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا

يَفْعَلُونَ ﴿[الزمر: ٧٠]، ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ كل الأنفس توفى ما عملت، ما عملت من خير فستوفى، وما عملت من شر فستوفى، وسترى ذلك أمامك، ويأتي المؤمن وينظر إلى ساعة من ساعات عمره قضّاها في غير طاعة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((فَتَقْطَعُ نَفْسُهُ حَسْرَاتٍ عَلَى أَنْ أَمْضَى سَاعَاتٍ مِنْ عَمْرِهِ لَيْسَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ))، ^(١) ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ يوفى أهل الطاعة في طاعاتهم، يوفى أهل الإيمان درجاتهم، يوفون أجورهم، وأما العصاة فأيضاً يوفون أجورهم، ويعطون سيئاتهم، ولا يظلم ربك أحداً، فيكون المؤمن يعلم أنه سيوفى عمله.

فإذا كنت تُقِرُّ بذلك -ولا شك في ذلك أبداً- فاعمل ليوم تريد أن ترى فيه ما يسرّك، وحذار من شهوةٍ تعقبك ندماً دائماً، حذار من شهوة مال أو من شهوة جاه أو من شهوة دنيا أو من شهوة نساء أو من شهوة طمع تُذهب عنك لذة اليقين وتُذهب عنك الأجر في الآخرة؛ بل وتحمل عليك من الوزر ما لا تطيقه.

أيها المؤمن، تذكّر في كل حياتك قول الله جل جلاله: ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يوفى كل أحد بما عمل، يوفى أهل السنة أعمالهم، ويوفى أهل البدع أعمالهم، يوفى أهل الصّلاح أعمالهم، ويوفى أهل السوء أعمالهم، والله جل جلاله حَكَمَ عدل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

أسأل الله جلّ جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يجعلنا من أتباع نبيه.

اللهم اجعلنا من الذين يرون الحق حقاً فيتبعونه، ومن الذين يرون الباطل باطلاً فيجتنبونه.

اللهم إنا ضعاف فاحملنا على طاعتك.

اللهم نعوذ بك من كيد الشياطين علينا.

اللهم نعوذ بك -وأنت المستعاذ به- نعوذ بك من كيد الشياطين علينا، ومن شرّ أنفسنا فلا تكلنا لأنفسنا يا ربنا طرفة عين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

^(١) جاء في الطبراني بلفظ: ((ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها)).

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.
أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم يوم القيامة، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله -جل جلاله- أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال جل وعلا قولاً كريماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنّا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، وانصر عبداًك الموحدين، اللهم انصر عبداًك الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا، اللهم انصرهم وأيدهم بتأييدك وأمدّهم بمدد من عندك، فإنك أنت القوي العزيز.

اللهم نسألك أن تؤمّننا في دُورنا، وأن تُصلح أئمتنا وولاة أمورنا وأن تدلّهم على الرّشاد وتباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أرحم الراحمين.

اللهم نسألك أن ترفع عنّا الرّبا والزّنا وأسبابه، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هـلذه بخاصة وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة، يا أجود الأجودين.

اللهم إنّنا نسألك أن لا تميتنا إلا وقد وفّقتنا لتوبة نصوح، اللهم وفّقنا لتوبة نصوح قبل الممات.
اللهم وفّقنا لعملٍ صالح به ترضى عنا وأنت أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين؛ فإنه لا غنى لنا عن عافية الله وعن رحمة الله، اللهم فعافنا، نسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدنيا والآخرة.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه عن النعم
يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة أشراط الساعة

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي بين في كتابه مصالح العباد في أعمالهم وفي عقيدتهم وفيما يصلح دينهم ودنياهم.
الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله.

نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف علينا من الدين الغمّة، وجاهد في الله حقّ الجهاد، لا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، صلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته.

عباد الله، إنّ مما يجب الإيمان به لإخبار الله -جل وعلا- به وإخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- به الإيمان بأشراط الساعة.

فإنّ للساعة -ليوم القيامة- أشراطا، والله جل وعلا بين في كتابه بعض تلك الأشراف؛ يعني بعض علامات الساعة، التي تؤذن بأن الساعة قريبة، وأنّ مياعدها قد قرب، وأنّ لقاء الله آتٍ، وإن كان أكثر الناس في غفلاتهم سادرون.

إن الإيمان بأشراط الساعة فرض؛ لأن الله -جل وعلا- قال في كتابه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، فقلوه: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ يعني قد جاءت علاماتها.

ومن علاماتها التي قد كانت جاءت في عهد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- انشقاق القمر، وكذلك من علاماتها بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((بعثت أنا والساعة كهاتين))^(١) يعني من شدة القرب بين بعثته عليه الصلاة والسلام وبين قيام الساعة. والله -جل جلاله- إذ أخبر بذلك فإنّ للساعة علامات:

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب ، حديث رقم (٤٩٣٦).

مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث رقم (٢٩٥٠).

منها علامات تكون قرب حصولها، تكون قريبة جدا منها، وهي التي يسميها العلماء أشراط الساعة الكبرى.

ومنها علامات تتباعد من بعثته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أن يكون أول أشراط الساعة الكبرى، وهذه يسميها العلماء أشراط الساعة الصغرى.

فأشراط الساعة وهي علاماتها منها صغرى ومنها كبرى، وقد ثبت في الصحيح أن عوف بن مالك قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذُهُمْ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيُظَلَّ سَاخِطًا))^(١) إلى آخر ما ذكر.

وهذا من أشراط الساعة الصغرى، فإن بعثته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مؤذنة بقرب الساعة، وإن تطاول الزمان ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

ثم بعد ذلك فتح بيت المقدس.

ثم بعد ذلك أتى المرض العام الطاعون فأصاب الناس كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم كذلك استفاض المال في الصحابة فمن بعدهم حتى حصل ما قاله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومن أشراط الساعة الصغرى ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في حديث عمر المشهور حيث سأل جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ فقال: ((مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)). وقال: أَعْلَمَنِي أَوْ أَخْبِرْنِي عَنْ عِلَامَاتِهَا؟ قال: ((أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَنْتَظِرُونَ فِي الْبُنْيَانِ)).^(٢)

وهكذا في أنواع كثيرة من أشراط الساعة الصغرى التي تتوالى مع الزمان، تحدث شيئا فشيئا، تحدث كما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أخبر من ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنها ((لن تقوم الساعة حتى تخرج نار في المدينة تضيء لها أعناق الإبل ببُصرة))^(٣) وهي قرية قرب دمشق من الشام فحصل

(١)

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .. حديث رقم (٨)

(٣) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، حديث رقم (٢٩٠٢).

ذلك في القرن السابع من الهجرة بعد سنة خمسين وستمائة (٦٥٠هـ)، وعلم العلماء ذلك وعلمه الناس فكان ذلك من دلائل نبوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وكان من أشراط الساعة أَنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أن منها ((أَنْ تترك القُلُوصَ فلا يُسعى عليها))^(١) يعني أن تترك الجمال والرواحل التي اعتادها الناس فلا يسعون عليها ولا يتخذونها رواحل، وقد استعجب كثير من العلماء هل يترك الناس أن يترحلوا على الإبل؟

فقال قائلون منهم: لعل ذلك أن تكون الإبل تكثر، تكثر جدا حتى تكون نسبة المركوب منها إلى ما لا يركب كلا شيء، فتكون القُلُوص قد تركت فلا يُسعى عليها، وقد رأينا في هذا الزمان صدق خبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إلى أخبار كثيرة فيها أشراط الساعة الصغرى التي تحدث شيئا فشيئا، وإن الإيمان بذلك فرض لازم؛ إذ تصديق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرض لازم واجب على كل أحد، ومن كذب في خبره الصادق فإنه مكذب برسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أشراط الساعة الكبرى وهي الأشراف والعلامات التي تكون تباعا كعقد كان فيه خَرَزٌ فانقطع فتسلسل ذلك الواحدة تلوى الأخرى، فيها عشرٌ، هي عشر بينات، هي عشر أشراط الساعة الكبرى، إذا حصلت الأولى فانتظر الأخرى ثم الثانية ثم الثالثة إلى العاشرة حتى تقوم الساعة.

وأول ذلك خروج الدجال، والدجال خارج في هذه الأمة، وما من نبي إلا وأنذر أمته المسيح الدجال، وإن فتنة المسيح الدجال في الناس هي أعظم فتنة، إن فتنته هي أعظم فتنة أدركتهم، يدعي أنه الرب والإله، معه جنة ونار، يُحيي ويميت، ويرزق ويفقر، يعطي ويمنع، معه فتنة عظيمة، معه فتنة يكون الناس فيها منهم المؤمنون ومنهم الكفار، ولا يخرج حتى لا يُذكرَ وحتى لا يُحذرَ منه، وقد كان كل الأنبياء يحذرون فتنته ويأمرون أقوامهم بأن يحذروا فتنته.

ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذرنا فتنته فقال: ((إن يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج فيكم وأنا لست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه))^(٢) يعني كل أحد حجيج عن نفسه، فلا تغفلوا عن

^(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، حديث رقم (١٥٥) وفيه ((القلاص)).

^(٢) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (٢٩٣٧).

ذلك؛ لأن المسيح الدجال فتنته عظيمة، فتنته جد عظيمة، ومن أدركته الفتنة وليس بذى علم فيها فإنه سيكون من الذين يؤمنون بهذا الدجال أنه الرب الإله الذي يعبد ويطاع.

أيها المؤمنون: وبعد ذلك وفي أثناء وجود المسيح الدجال على الأرض يتزل عيسى بن مريم عليه السلام؛ لأن عيسى بن مريم توفاه الله ولم يمِتْ، توفاه الله بتوفي مدته على الأرض ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وبقي حيا في السماء، ثم يُترله الله -جل وعلا- إلى الأرض في آخر الزمان بعد خروج المسيح الدجال، قال الله جل وعلا: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا﴾ [الزحرف: ٦١]، فلما ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام قال الله فيه في سورة الزحرف: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾، وفي القراءة الأخرى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾، يعني لدليل وشرط من أشراطها، وقد أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام وقال: ((إنه يتزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق))^(١) قبل أن تفتح دمشق، وقبل أن تكون ثم منارة بيضاء فيها، فيتزل عيسى، فيؤمن به أهل الكتاب، ويأمر بالإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويأمر بالإسلام، ويأتم بالإمام من هذه الأمة من المسلمين، ويقول لهم: إمامكم منكم. حين يتزل والناس يصلون، وقد قال جل وعلا في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ يعني ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته؛ قبل موت عيسى عليه السلام؛ لأنه لم يمِتْ، وكل أحد من أهل الكتاب يرى نزول عيسى عليه السلام سيؤمن به؛ لأنه سيعلم أنه هو عيسى رسول الله، وسيبطل التثليث وسيبطل الإلشراك به، ويأمر عيسى بالإسلام وينتشر الإسلام في الأرض.

يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند باب لد من أرض فلسطين، ويتبع الدجال قوم كثير من اليهود. ثم يعيش عيسى في الناس زمنا تفيض فيه الخيرات، ويكون فيه المال، ويكون فيه السعة في الأرزاق، حتى يكون من ذلك شيء عجيب عجيب، كما أخبر بذلك تفصيلا النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم يكون خروج يأجوج ومأجوج، وهم من الناس بشر من البشر، كما قال جل وعلا في يأجوج ومأجوج ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) وأقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياولئنا ﴿[الأنبياء: ٩٦-٩٧]، إلى آخر الآيات، فيخرج يأجوج ومأجوج ومعهم بلاء عظيم في الناس لا يمرّون على ماء إلا شربوه، ولا على مأكّل إلا أكلوه، فيدعو

(١) وهو الحديث السابق نفسه.

عليهم عيسى عليه السلام فيقتلهم الله -جل وعلا- حتى تُنتِن الأرض بريحهم، فيبعث الله ريحا فتحمل أجسادهم فتلقيها في البحر.

ثم بعد ذلك وهو الرابع يحدث خسف بالشرق خسف عظيم لم يسبق له مثال.

ثم يحدث -وهو الأمر الخامس- خسف بالمغرب لم يحدث له فيما سبق مثال.

ثم يحدث خسف بجزيرة العرب لم يسبق أن حدث مثله. وهذا من أمر الله العجيب. فهذه من أشراط الساعة الكبرى هذه تلي هذه.

ثم يكون ما يكون من خروج الدخان.

ومن طلوع الشمس من مغربها.

ومن خروج الدابة على الناس ضحى تسم الناس.

فإذا خرجت الشمس من مغربها لم يقبل من الناس توبة، كما قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، لا ينفع الذي لم يكن مؤمنا، لا ينفعه إيمانه بعد أن رأى طلوع الشمس من مغربها، تنقطع التوبة ويبقى المؤمن ينتظر الريح التي تُميت المؤمنين، ويبقى الناس كفارا؛ لا يقال فيهم: الله الله، كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام؛ يعني لا يقول أحد لأحد اتق الله اتق الله، ليبقى الناس في ذلك يتهارجون كما تتهارج الحُمُر.

ثم يبعث الله النار تبدأ في جنوب الجزيرة من قعر عدن، ثم تنتشر في الأرض تحشر الناس إلى أرض محشرهم، يجتمعون، تبيت معهم يخافون منها، وهم يُقبلون على أرض المحشر، يخافون ويهابون منها، وهي تبيت معهم إذا باتوا، وتسير معهم إذا ساروا، تكتنفهم من جوانبهم، والناس يتقدمون إلى محشرهم. ثم يأذن الله ويأمر إسرافيل بأن ينفخ في الصور نفخة الفزع أو نفخة الصعق فيصعق الناس، ويعود من كان على الأرض حيا يعود ميتا، كما يقول الله جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، بعد هذه النفخة يبقى الناس موتى، فيغير

الأرض فإذا الأرض ليست هي الأرض ويغير السموات فإذا السموات ليست هي السموات ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، وتغير السماء ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وتغير الأرض ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣]، فيستوي من دُفن بين الجبال كمن دفن في السهل، تبقى الأرض متغيرة، فالله جل وعلا يغير معالم الأرض ويغير معالم السماء، وإنه لأمر عجيب، ويبقى الناس موتى تحت الأرض كل شيء بلي منهم إلا عجب الذنب منهم وهو آخر فقرة من فقار الظهر يكون كالبدرة لهم، فيأمر الله

السماء فتُنشئُ سحاباً -سحاباً ثِقَالاً- فيحمل ماءً كمني الرجال، فإذا حملت الماء أمر الله السماء فتمطر على الأرض بذلك الماء، فتنبت منه الأجسام بعد أن أمطرت على الأرض أربعين، أربعين لا ندري هل هي أربعون شهراً؟ أم أربعون سنة؟ أم أربعون أسبوعاً؟ ثمطر أربعين فتنبت الأجسام:

.....	مثل النبات كأجمل الرياحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها	وتمخضت فنفاسها متداني
أوحى لها رب السماء فتشقق	فإذا الجنين أكمل الشبان

ثم يأمر الله جل وعلا إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فتعود الأرواح إلى الأجسام، فتهتز الأجسام فيقول الكفار والمؤمنون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ ثم يجيب المؤمنون وغيرهم: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

فيساق الناس المؤمنون إلى الجنة والكافرون إلى النار، وقبل ذلك أمور عظام من أمور المحشر.

أسأل الله -جل وعلا- أن يؤمّننا يوم الفرع، وأن يجعلنا من المتفقيين في كتابه وفي سنة رسوله، وأن يجعل قلوبنا مطمئنة بالإيمان، وأن يربط على قلوبنا، نعوذ به من الرّيب والشك، نعوذ به من الرّيب والشك.

ونسأله أن نكون مطمئنين بالإيمان مصدقين بما أخبر مصدقين بما أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأسأل الله لي ولكم ولكل المسلمين، نسأله النجاة يوم الفرع، نسأله النجاة يوم الخوف، نسأله أن يخفف علينا الحساب وأن يعفو عنا، وأن يجعلنا من الذين يتوفاهم وهو راض عنهم، إنه ولي الغفران، ونحن أصحاب المعصية والله ولي الغفران، اللهم فاغفر جما، اللهم فاغفر جما، اللهم فاغفر جما.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقاً، وتوبوا إليه صدقاً، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون؛ اتقوا الله حق تقاته، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإنّ يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى فإنّ بالتقوى فخاركم، إن في التقوى جاهكم عند ربكم، إنّ في التقوى رفعتكم عند الله.

فاتقوا الله حق تقاته، وعظّموا الله في السرّ والعلن، واتقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ذلك اليوم العصيب اتقوه، واتقوا الله الذي خلقكم، واتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الله الذي عنده الجنة والنار.

هَذَا واعلموا رحمي الله وإياكم أن الله جل جلاله أمركم بالصلاة على نبيه فقال جل وعلا قولا كريما ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر.

وارض اللهم على الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعن الصحابة أجمعين وعن آل وعن التابعين، وعن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم بعفوك ورحمتك وأنت أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين وانصر عبادك الموحدين. اللهم نسألك وأنت القوي العزيز وأنت ناصر عبادك المتقين، نسألك أن تنصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين وسائر أصناف المرتدين يا رب العالمين.

اللهم نسألك أن تثبتهم وأن تربط على قلوبهم وأن تكون ولياً لهم، اللهم أقم بهم دينك وتوحيده، اللهم أهدهم إلى الرشاد وأعزهم، اللهم أعزهم، اللهم أعز المجاهدين، وأنصرهم واجعلهم في إعدادهم وفي نصرهم عزاً للإسلام والتوحيد وأهله يا أرحم الراحمين.

اللهم نسألك أن تؤمننا في أوطاننا وأن تُصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم أصلح أئمتنا وأصلح ولاة أمورنا، وذُلِّهم على الرشاد وباعد بينهم وبين أهل الكفر والبغي والفساد، يا أرحم الراحمين. اللهم نسألك أن تَمُنَّ عليهم بالمستشار الصالح الذي يدلهم على الخير ويهديهم إليه ويبغض إليهم الشر والمنكر، وأنت أرحم الراحمين وأجود الأجودين.

اللهم يسِّرْ لهم من يقول لهم كلمة الحق، اللهم يسِّرْ لهم من يشير عليهم بالحق والهدى، اللهم باعد بينهم وبين المنافقين والمضلين وأنت أرحم الراحمين.

اللهم نسألك أن تؤمِّننا يوم تفرع الخلائق، اللهم آمِنَّا يوم تفرع الخلائق، اللهم آمِنَّا يوم البعث والنشور.

اللهم نسألك صلاحاً في قلوبنا قبل الممات.

اللهم أنت ولي السائلين أنت المحيب للدعوات، نسألك أن تربط على قلوبنا، اللهم اربط على قلوبنا، ومُنَّ علينا بتوبة نصوح قبل الممات.

ربنا لا تدخلنا القبور إلا وقد رضيت عنا، وقد وفقنا لتوبة نصوح، وأنت أرحم الراحمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة وَلَايَةِ الْمُؤْمِنِ

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، بشّر وأنذر، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا وحذرهم منه نصحهم حق النصيحة، فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تتابع الليل والنهار وما أشرقت الشمس وغربت، صلى الله على نبينا محمد كفاء ما أرشدنا وبين لنا، وكفاء ما أوضح لنا المحجة، وكفاء ما حذرنا من الشرور. أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، إن الله -جل جلاله- جعل الولاية بين المؤمنين قائمة؛ فالمؤمن يحب أخاه المؤمن ويؤدّه وينصره، يحب أخاه محبة قلبية وسبب تلك المحبة إنما هو اشتراك القلبين في الإيمان بالله، وفي محبة الله، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي الاستسلام لله -جل جلاله- باتباع دين الإسلام، فالمؤمنون بعضهم لبعض أولياء المؤمن ولي للمؤمن يحبه وينصره ويحمي عرضه ولا يرضى أن يهان أو يذل؛ لا يرضى المؤمن أن يكون أخوه المؤمن الآخر مهيناً ذليلاً بين الناس، بل إنما إذا وقع ذلك ينصره، وذلك من مقتضى محبته له وولايته له، يقول الله جل وعلا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، فأثبت الولاية بين المؤمنين ومحبة المؤمن للمؤمن.

ومن ثمرات تلك الولاية وتلك المحبة أن يحمي المؤمن عرض أخيه المؤمن؛ وأن لا يقذفه بأمر، وأن لا يقذفه بعبء وقع فيه، وإنما تلك الولاية تقود المؤمن لأن ينصح لأخيه المؤمن، وأن يحب له من الخير ما يحبه لنفسه، فكل هذه الأمة خطاء وخير الخطائين التوابون، فإذا وقع الخطأ إذا وقعت الزلة من المؤمن فإن أخاه المؤمن يسعى في النصيحة إليه بما يحب أن يُنصح به، فإن القلب يحب النصيحة الخالصة التي ليس فيها تشهير، وليس فيها تشفٍّ، وليس فيها غرض من أغراض النفس، وعند ذلك يتمثل الإيمان بين المؤمنين رابطاً قوياً يحمي بعضهم بعضاً وينصر بعضهم بعضاً، وقد شاع بين الناس في هذا المجتمع بل وفي كل مجتمع يضعف فيه الناس عن امتثال أمر الله وعن امتثال أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ أن تكون بعض مجالسهم وقاعة في إخوانهم المؤمنين وأذية للمؤمنين والمؤمنات، بعض الناس الذين ضعف

إيمانهم إذا سمعوا باطلا، إذا سمعوا خطأ وقع فيه بعض إخوانهم المؤمنين أشاعوه ونشروه، ورأوا أنهم بذلك نصحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا خلاف ما يقتضيه الإيمان وتقتضيه المحبة بين المؤمنين، هذا إن كان ذلك الذي يُذكر صوابا، فكيف إذا كان افتراء، كيف إذا كان كذبا يتناقله الناس دون رعاية لحق إخوانهم المؤمنين، يقول الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فبين الله -جل جلاله وتقدّست أسماؤه- في هذه الآية أن الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات ويؤذونهم بأشياء لم يكتسبوها ولم يفعلوها وهم برآء منها أنهم قد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً، احتملوا بهتاناً وهو الإفك الذي لم يأت أصحابه عليه بيينة إنما سمعوا القالة السيئة فنشروها ورددوها وليس لهم على ذلك برهان وليس لهم عليه بيينة، واحتملوا أيضاً إثماً مبيناً؛ إثماً يوء به صاحبه بين أنه إثم، بين أنه معصية، بين أن صاحبه ليس عليه أجر؛ بل عليه الإثم والسوء في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وهذا الوصف الذي في هذه الآية شاع من قديم فرمى المؤمنين والمؤمنات طائفة رموا أعلى المؤمنين إيماناً وأعلى المؤمنات إيماناً وهم صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رموهم بغير ما اكتسبوا؛ رماهم الرافضة في زمن الصحابة وفيما بعده من الأزمان بأشياء لم يعملوها ولم يكتسبوها؛ بهتان وإثم مبين كما وصف الله جل وعلا بأنهم اكتسبوا بهتاناً وإثماً مبيناً لما رموا الصحابة وهم أعلى المؤمنين إيماناً، وهذا شاع في الناس فيما مضى من الزمان وشاع في هذا الزمان.

كذلك رمى طائفة من هذه الأمة من يلي الصحابة في الإيمان وفي تحقيق الإسلام وهم علماء هذه الأمة، الذين اهتموا بهدى الله، والذين ساروا بالسنة، والذين دعوا إلى عقيدة التوحيد وإلى عقيدة السلف الصالح فيما مضى من الزمان وفي هذا الزمان، فشاع في طائفة من الذين خف عليهم إيمانهم ومن الذين رأوا أنهم إذا كانت قدمهم في النار فإن هذا ليس مهما بالنسبة لهم، وقعوا في علماء الأمة بغير ما اكتسبوا، ترى الواحد منهم يقول كلمة هي من الظن ليست من اليقين، إنما يظنّها ظناً يقول أظنّ كذا، فيسمعها الآخر في المجلس فيحوّرها إلى أنه قيل كذا، فيأتي الثالث فيحوّرها إلى أنني سمعت كذا، فيأتي الرابع فيقول: حدثني الثقة بكذا، فيأتي الخامس فيجعلها حقاً، يجعلها حقيقة لا تقبل النقاش ولا الجدل فتسير في الناس وهي رمي للعلماء ورمي لأولئك الهداة بغير ما اكتسبوا، بشيء لم يكتسبوه، ولم يفعلوه، وإنما هو رمي رماهم الناس به، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذي وغيره حينما سئل -عليه الصلاة والسلام- عن الغيبة قال: ((هي ذكرك أخاك بما يكره)) قيل له عليه الصلاة

وَالسَّلَامُ: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: ((إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن كان ليس فيه ما تقول فقد بهتَه)).^(١)

وهذا هو الواقع في كثير من المجالس يذكرون أولئك العلية، أولئك الصفوة؛ الذين دعوا إلى الهدى ودعوا إلى عقيدة السلف الصالح، ودعوا إلى الاستمسك بالإسلام رموهم بما هم برآء منه غاية ما يكون أن يكون القول ظنا، والله -جل وعلا- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] ففرض على المؤمنين أن يجتنبوا الظن في ما بينهم، وأن يجتنبوا اللمز فيما بينهم؛ أن يلزم المرء منهم أخاه أو أخته في الإسلام، فكيف بأن يكون اللمز موجها لورثة الأنبياء الذين هم الصفوة؛ هم الصفوة وهم النخبة الذين اصطفاهم الله -جل وعلا- لحمل الدين ولورثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((العلماء ورثة الأنبياء))^(٢) نعم إن هذا الأمر واقع، وواجب على المؤمنين أن تكون مجالسهم مبرأة من البهتان، مبرأة مما يكسبهم الإثم المبين والذنب العظيم بالوقعة وباللمز لهداة الأمة من علمائها الذين هم صفوتها، وهذا شاع وكأن الناس في هذا الزمان لا يهتمهم أن تكون أقدامهم واردة على النار صالية بعض العذاب، والعياذ بالله.

فواجب على أهل الإيمان أن يكون بينهم التناصر، وأن يكون بينهم المودة التي من آثارها أن يحموا عرض بعضهم بعضا، وأعلى العرض حق أن يحمى هو عرض علماء هذه الأمة، فإن الظن؛ ظن السوء عاقبته لأصحابه وخيمة فمن ظن سوءاً بإخوانه ظنَّ به سوءاً، ومن تشفى تُشْفَى منه؛ لأن الحسنة يجزى صاحبها بمثلها والسيئة تعود على صاحبها بمثلها والعياذ بالله.

كذلك من الوقعة في المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ما يشيع في بعض المجالس؛ مجالس المؤمنين، من أنهم يرموا المؤمنين بالظن والسوء، ويلمزوا المؤمنين بالسوء من القول أو العمل وكل ذلك واجب أن يحمد ولا ينشر؛ لأن نشره دليل على وقعة المرء في نفسه، ألم تر إلى قول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، فالمؤمن إذا لَمَز أخاه المؤمن أو أخته المؤمنة فإنما يلزم نفسه؛ لأن المؤمن أخ للمؤمن يرمى في الدفع عن عرضه، وفي حماية حرمة، وفي حماية ذاته وعرضه وهذا هو الواجب،

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، حديث رقم (٢٥٨٩).

(٢) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢).

سنن ابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

وكيف بنا ونحن يقول إذا رأى سوءاً أو سمع سوءاً من القول أو من العمل فتراه ينشره وكأنه لا يهمه الإثم والسيئات التي ستكتب عليه، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((وَكَفَّ عَلَيْكَ هَذَا)) وأشار إلى لسانه قال له معاذ: يا رسول الله أو إنا مؤاخذون بما نقول؟ قال: ((ثَكَلْتُكَ أَمَّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكْبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنْ خَرَّمَهُمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى وَجُوهِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ)).^(١) من سمع بشيء لم يتحقق منه فلا يتكلمن به فإن حماية عرض المؤمن واجبة وخاصة إذا كانت في أعراض المؤمنين، من سمع بشيء وتحقق منه فلا يجوز له أن ينشره وأن يُسَمِّعَهُ الآخرين من المؤمنين إنما الواجب عليه أن يسعى في النصيحة سرا؛ لأن تلك الذنوب إذا نُشرت بين المؤمنين تساهلوا فيها، وكان نشرها قائداً لانتشارها أكثر وأكثر بعد القول بالفعل؛ لأن نشر مثل ذلك الكلام يخفف المعصية، ويقود إلى أن يتساهل الناس بذلك.

فيا أيها المؤمنون عليكم بهذا الأمر الأعظم؛ وهو أن تنصحو للمؤمنين، أن تنصحو لعامة المؤمنين، وتلك النصيحة تكون بحماية أعراضهم، وبالسعي في الإرشاد بما يحقق المصلحة، عليكم -أيها المؤمنون- أن تحموا أعراض العلماء مما قد يقال فيهم، لأنَّ قالة السوء إذا قيلت في صفوة الأمة وهم علماؤها، فإنَّ ذلك يقود إلى أن لا تسمع لهم كلمة، وإلى أن لا يكون لورثة النبوة في المؤمنين مقام أعظم في المؤمنين، مقام إرشاد، مقام فتوى، مقام دعوى؛ لأنَّ الناس جبلوا على أنهم إذا شوَّهت السمعة فيما بينهم على أحد فإنهم لن يسمعوا ذلك الكلام منه.

فعلينا أن نحمي أعراض علمائنا وأن لا نرضى بما يقال فيهم، وأن نعلم أنهم على الحق والهدى، بل علينا أن نحمي أعراض المؤمنين جميعاً كل بحسب موقعه في الإيمان، وبحسب موقعه من امتثال أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا أمر مهم للغاية، فلا نجعل مجالسنا في قيل وقال؛ في قال فلان وقال الآخر، بكلام كله إذا تأملته وجدته أنه أذية للمؤمنين بغير ما اكتسبوا.

نسأل الله -جل جلاله وتقدس أسمائه- أن يطهر ألسنتنا، وأن يطهر أسماعنا، وأن يجعلنا من الذين قالوا بالحق وهدوا به، ومن الذين كانت قلوبهم صافية للمؤمنين جميعاً.

(١) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦).

سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لِي وَلَكُمْ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، وَاسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقًا، وتوبوا إليه صدقًا، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، والشكر له جل وعلا على إنعامه وفضله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، بشر وأنذر، وبين لنا الخير وبين لنا طرق الشر، فهنيئًا لمن أخذ بالخير وبطريقه، وابتعد عن الشر وعن طريقه.

أَسْأَلُ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ- أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ الْمُبْتَعِدِينَ عَنِ الشَّرِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله -عز وجل- فإن التقوى هي فخارنا، وهي رفعتنا، وهي سعادتنا في الدنيا والآخرة، ف﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

واعلموا أن الله -جَلَّ جَلَالُهُ- أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَثَنِي بِمَلَائِكَتِهِ، فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء والأئمة الخنفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحب والآل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرّ والمشركين، اللهم واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يجاهدون لرفع (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، اللهم أيدهم بتأييده وانصرهم بنصره واجعل الدائرة على عدوك وعدوهم يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم سائرين على الحق والهدى، وجنبهم طريق الردى يا أكرم الأكرمين، اللهم واجعل ولايتنا لمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعلنا صالحين مصلحين، اللهم أصلحنا جميعا رجالا ونساء صغارا وكبارا، اللهم أصلحنا جميعا رجالا ونساء صغارا وكبارا علماء وولاة يا أرحم الراحمين.

واعلموا رحمي الله وإياكم أنه كان من هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كان من هديه أن يستسقي في خطبة الجمعة فيرفع يديه ويرفع الناس أيديهم في الدعاء بالاستسقاء، فنحن داعون فأمنوا مع رفع أيديكم: اللهم إنك أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء نسألك أن تغثنا غيثا مباركا، اللهم إنك أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء نسألك أن تغثنا غيثا مباركا نافعا غير ضار، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى أن تغث البلاد والعباد، اللهم أغثنا واجعله مطرا مباركا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم إنا نستغفرك من جميع الذنوب والخطايا إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا، اللهم اجعل ما أنزلته نافعا للعباد والبلاد وجنبا للضرر والسوء في أمورنا كلها، اللهم إنك أنت الله لا إله إلا أنت نسألك سؤال من يعلم أن الخير كله بيدك، وأن مقاليد السموات والأرض بيديك، وأن المطر عندك وأن كل خير بيدك، نسألك أن تغثنا وأن لا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، أذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

حقوق الإنسان في الإسلام

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والحمد لله الذي كرم ابن آدم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

فإن الله -جل جلاله- جعل التقوى ميداناً واسعاً وجماعها امتثال أوامر الله وانتهاء ما عنه نهي -جل وعلا-.

أيها المؤمنون، إنه لا كرامة للإنسان إلا بما كرمه الله -جل وعلا- به؛ لأنه سبحانه هو الذي خلقه ﴿أَلَّا يَعْلَمَ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] جلّ وعلا أكرم الإنسان وجعل له الحقوق العظيمة، جعل له الحقوق التي بها يصير كريماً لأجل صلته بربه -جل وعلا-.

وإنه ينبغي لنا أن نرد كل ما نسمع في هذا الزمن إلى شرع الله -جل جلاله-، وإلى كتابه وسنة نبي الله المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وقد كثر في هذا الزمان ذكر حقوق الإنسان، وإنها كلمة ترددت عند أنواع شتى من الأمم، ترددت عند الغربيين وعند الشرقيين، وأيضاً أهل الإسلام عندهم حقوق للإنسان.

وهذه الكلمة يظن كثيرون أنها لم تنشأ إلا في بلاد الغرب والكفر، والله -جل جلاله- هو الذي جعل للإنسان حقوقاً، كما أنه جعل عليه حقوقاً والأصل في ذلك قول الله -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠] فالإنسان الذي هو ابن آدم كرمه -جل وعلا-، وتكرمه يعني أن الله -جل جلاله- جعل له الحقوق التي بها يصبح كريماً من حيث جنس الإنسان، لا من حيث كل فرد فرد من بني آدم.

فالله -جل وعلا- كرم ابن آدم بأن جعله متصلاً بربه -جل وعلا-، فتنحصر من عبوديته لجنسه، تحرر من أن يكون عبداً لإنسان مثله أو أن يكون مطيعاً في كل شيء لإنسان مثله، فرفعه إلى أن تكون طاعة الجميع لله -جل وعلا-.

قالوا حقوق الإنسان، وهذه الحقوق ينبغي لنا أن ننظر إليها من جهات متعددة بنظر شرعي حتى لا يلتبس على المسلم ما يسمع أو ما يردد حوله، مما يجعله ربما ينظر إلى شريعة الإسلام الخالدة أن فيها وفيها مما قد يلقى الشيطان في النفوس.

إن كلمة (حقوق الإنسان) معناها أن الإنسان له حق؛ ولكن هذا الحق لا بد أن يعطاه الإنسان.

فأول مسألة من الذي يعطي الإنسان الحقوق؟ ومن الذي يجعل له حقا؟ أو أنه يسلب حقا منه؟ إذا نظرت وجدت أن الغربيين مثلاً جعلوا للإنسان حقوقاً في ميثاق أصدرته هيئة الأمم المتحدة في سنين خلت، وكانت نظرتهم في حقوق الإنسان نابعة من النظرة الغربية للإنسان بعامة وإلى أنهم يريدون أن يسيطروا على الإنسان.

فهذه الكلمة لها ظاهر يغري كل إنسان بقبولها؛ ولكن باطنها يجب أن يُنظر إليه من جهة من الذي يعطي الحق للإنسان؟ هل الذي يعطي الحق للإنسان ويجعل حقوقاً للإنسان البشر؟ أم الطبيعة؟ أم أنها الديانات؟ أم أنه الدين الخاتم الذي رضى الله جل وعلا للناس؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

نعم، إن حقوق الإنسان إذ نظرت إليها من جهة كونها مجردة من الذي يصدر الحق، نظرت إلى أن الإنسان يجعل حقا لنفسه بما يشاء، وهذا لا تستقيم معه الأمور، ولا يصلح، لهذا جاءت شرائع البشر بتنظيم حق الإنسان وفيها سيطرة بعض أجناس الإنسان وبعض الدول على الناس الآخرين.

لهذا تجد في تلك الحقوق المصدرة بالمواثيق الدولية تجد فيها استعلاءً لبعض الإنسان على البعض الآخر. أما في الإسلام فإن الله -جل جلاله- قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، الناس جميعاً لا يفضل بعضهم بعضاً إلا بتقوى الله جل وعلا، وهذا ميزان لا بد من ميزان يرجع إليه.

إذا نظرت -أيها المسلم- إلى هذه الكلمة (حقوق الإنسان)، فإما أن تنظر إليها من جهة حق النفس للنفس؛ يعني حق نفسك لك من دون حق للآخرين، وهذا فسرهم كثيرون بالحرية، فحين نظروا إلى حق الإنسان لنفسه قالوا: هو حر يعمل ما يشاء، وهذه الحرية تكون في جهات:

- في جهة الدين.
- في جهة السياسة.
- في جهة الرأي.

- في جهة المال.
- ... وفي جهات أخر.

وهذه الحريات التي منها حرية الدين، وفيها حرية الأخلاق، جعلها هؤلاء بحيث إن الإنسان يختار ما يشاء من الدين، ويختار ما يشاء من الأخلاق ويفعل ما يشاء من دون أن يكون ثمّ مسيطر عليه، وهذا لا يكون مطلقاً في أي بلد، إذ الحريات في أي شريعة وفي أيّ ميثاق لا بد أن يكون لها تقييد، إما أن يكون تقييداً قليلاً وإما أن يكون تقييداً متوسطاً أو كثيراً، أما حرية مطلقة بلا قيود فهذه لا توجد. إذن فحقوق الإنسان من حيث حرّيته، لا بد أن تكون مقيدة، وفي هذه الشريعة جاءت حقوق الإنسان من حيث حرّيته مقيدة وليست بمطلقة، ولكنّ تقييدها بأمور قليلة وهو حر في تصرفات كثيرة كثيرة.

إذا نظرت مثلاً إلى الدين فإنه في الشريعة لا إجبار على أحد أن يغيّر دينه، فله أن يكون على دين اليهودية مثلاً أو دين النصرانية؛ ولكن ليس له أن يغير دينه، ولكن ليس له أن يتغير من كذا إلى كذا، وليس لنا أن نجبر اليهودي أو النصراني مثلاً على الإسلام، قال جل وعلا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، لكن ليس من رفعه الله بالإسلام ونجّاه من الشرك وعرف حقيقة الإسلام أن يبذله إلى غيره، ليس له أن يرتد عن دينه، فإن الارتداد عن الدين ليس إلى الإنسان؛ بل إنما هو حق لله جل وعلا، والله -جل وعلا- أمر المسلمين أن يثبتوا على دينهم، فمن ترك دين الإسلام إلى غيره ليس هذا إليه وليس من حرّيته.

كذلك المسلمون لا يُجبرون من ليس على دين الإسلام من أهل اليهودية أو النصرانية على الإسلام؛ لأنه إما أن يكون ذمياً فيبقى على ذمّيته بدفع الجزية، وإما أن يكون معاهداً أو مستأمناً في الشريعة فإن له الحماية في ذلك.

فإذن الحرية الدينية وحقوق الإنسان فيها له ذلك؛ ولكن ليس على إطلاقه، ليس للإنسان أن يكون وثنياً؛ ليس للإنسان في الإسلام أن يعبد غير الله -جل وعلا- مشركاً به وثنياً، ليس له ذلك؛ بل لا بد أن يرجع إلى الإسلام، لا بد أن يُسلم ويترك وثنيته؛ لأنّ تلك الوثنية ليست راجعة إلى شيء من رسالة الرسل ولو بتأويل أو بتقرير.

ولهذا قال العلماء: المسلمون في دار الإسلام ليس لهم أن يبدّلوا دينهم وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من بدّل دينه فاقتلوه))^(١) وكذلك اليهودي والنصراني في دار الإسلام؛ يعني في غير الجزيرة العربية، إذا كان ذميا فله أن يبقى على دينه؛ ولكن بشرط أن يدفع الجزية لحمايته بما دفع.

ثم إذا نظرت إلى الحريات الأخلاقية فإنها في الإسلام ليست مطلقة، لك أن تكون كما تشاء؛ ولكن فيما إذا أغلقت عليك دارك، أما في دار الإسلام وفيما تُظهره فليس لك إلا أن تُظهر الإسلام؛ لأنّ الحق ليس لك وإنما هو حق عام للمسلمين الذين هم أخص الإنسان ونخبة الناس.

أما إذا أغلق المرء عليه داره فمن أغلق عليه داره فهو آمن وحسيبه الله -جل وعلا-، بشرط أن لا يتعدى ضرره إلى غيره من المسلمين.

إن للإنسان المسلم حقا وعليه حقوقا؛ لكن ليس له في الأخلاق من حق ليغشى ما يشاء، وأن ينتهك الأعراض فيما يشاء، وأن يعبث كما يشاء؛ لأن هذه حقوق للمسلمين بعامّة، فليس له أن يقدم حقه على حق المسلمين بعامّة، والله -جل وعلا- أوجب علينا تجاه غيرنا حقوقا كثيرة.

فليس -إذن- ثم حرية مطلقة في أن يختار الإنسان ما يشاء من الأخلاق؛ بل إنه إذا اختار ما ينافي الشريعة في دار الإسلام فإنه يؤمر ويُنهى ويعاقب على مخالفته أمر الله جل جلاله.

إذا نظرت مثلا إلى حرية الرأي فإن كثيرين -حتى من المسلمين- ظنوا أن حق الإنسان يجعل له أن يُبدل برأيه كيف يشاء، يدلي برأيه على أي وجه يختاره، وهذا ليس في شريعة الإسلام؛ بل إن المسلم في دار الإسلام؛ بل إن المسلم وغير المسلم في دار الإسلام ليس له أن يبدل من الرأي ما يخص جماعة المسلمين أو يشكك في دينهم أو أن يكون ذلك الرأي رأيا شخصيا يعود على جماعة المسلمين بالضرر، وعلى هذا سار خلفاء الأمة؛ سار الخلفاء الراشدون.

فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أتى رجل في المدينة يقال له (صبيغ بن عسل) لما أتى وقال أقولا في القرآن وبثّها على أنّها رأي من رأي، أتاه عمر وعَلَاهُ بالدِّرة وضربه قال: كيف تجحدك الآن؟ قال: يا أمير المؤمنين ذهب الذي كنت أجد في رأسي. فنفاه عمر عن المدينة حماية للناس.

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم (٣٠١٧).

وهذا أبو ذر رضي الله عنه وهو صحابي من الصحابة، لما خالف خليفة المسلمين عثمان بن عفان وأثار بعض الآراء التي له وهو صحابي من الصحابة، وأراد منه عثمان أن يكفّ فلم يسكت أبو ذر عن رأيه نفاه عثمان إلى خارج المدينة إلى الربطة ومات فيها.

وهذا معروف في التاريخ.

إذن حرية لرأي وحق الإنسان في إبداء رأيه ليس على إطلاقه في الشريعة، له أن يبدئ الرأي ما لم يخص ذلك الرأي في جماعة المسلمين؛ لأنه حينئذ تقدم المصلحة العامة -حقوق الإنسان المسلم بعامة- على حق ذلك الخاص في إبداء رأيه، إذ إن الضرر المحدود الذي لا يتعدى صاحبه فإنه أسهل، أما إذا كانت الآراء تبث وتغير الآراء العامة للمسلمين في دينهم وفيما أمرتهم به شريعتهم، فإن هذا لا يليق أن تمنح له الحريات، ولا أن يُجعل من حقوق الإنسان؛ لأنه إذ ذاك يكون معارضا لحق الله ومعارضاً لحقوق المسلمين بعامة.

كذلك في الحقوق الأخرى عدوها حقوقاً وهي من الحريات، فإذا كان كذلك فإن حق الإنسان لنفسه، حق الذات للذات هذا بإطلاقه ليس موجوداً في الشريعة.

لكن إذا نظرت من جهة أخرى وجدت أن الإنسان المسلم؛ بل وإن غير المسلم في دار الإسلام له حقوق كثيرة كثيرة على ضابط الشريعة، فحقوق الإنسان عندنا مضبوطة بشرع الله، مضبوطة بكتاب الله جل جلاله؛ لأن الإنسان مؤتمن وقد أوكلت به أمانة، ولذلك فإن عليه أن يرضى الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

فإذن الإنسان ليس له حقوق مطلقة؛ بل حقوقه متقيدة بالشريعة، ولو عقل الإنسان لوجد أن ما حباه الله الذي خلقه أكرم وأعظم له وأشرف له مما أعطاه غير الله من المخلوقين الذين يريدون مصالحهم، عقل ذلك من عقله ولم يعقل ذلك الأكثرون.

أيها المؤمنون، إذا نظرت في حق الإنسان في بلد الإسلام وجدت الشريعة جعلت للمسلم حقاً على إخوانه، وجعلت له حقاً على ولايته ودولته، وجعلت له حقاً أيضاً في ماله وفي جيرته وفي عرضه، حتى إنه من عجائب الشريعة أنها جعلت له بعد وفاته حقاً فأنفذت وصيته وأوجبت ذلك وجعلته مراعاة بعد مماته في أولاده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، حفظ الإسلام للمسلم بعد مماته عرضه فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لا تسبوا

الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا))،^(١) وفي لفظ رواه البخاري: ((لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء))^(٢) فأَيَّ مكان للإنسان فوق هذا! يُحفظ عرضه، ويُحفظ ماله، وتُحفظ جوارحه، ويُحفظ كله حيا وميتا عند الله جل وعلا في شريعة الإسلام، عرض المسلم وماله حرام، دمه وماله وعرضه حرام حرام؛ لأن الله جل وعلا هو الذي يملك تلك الأشياء، وهو الذي يصرفها كيف يشاء جل وعلا، فحرّم دم المسلم على المسلم، وحرّم عرضه، وحرّم أن يتولى في ماله إلا بما هو أصلح له إذا لم يكن عاقلا محسنا للتصرف في ماله.

هذه -أيها المؤمنون- بعض حقوق المسلمين بعض حقوق الإنسان المسلم في دار الإسلام.

فماذا عن غير المسلم؟ مثلا في بلاد الإسلام غير المسلم:

إما أن يكون ذميا فله حقوق.

وإما أن يكون معاهدا مستأمنا كما في بلادنا هذه -في الجزيرة-؛ لأنه لا يقر النصراني فيها بالإطلاق، ولا اليهود فيها، ولا تقبل منهم فيها الجزية؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فإن أتى بعضهم على غير إقامة مستديمة بأمان فلهم حق الأمان.

فماذا تظن أن الشريعة جاءت لغير المسلم في دار الإسلام، إن الله -جل جلاله- جعل الشريعة في علاقات المسلم بغيره -مسلمًا كان أو غير مسلم ذلك الغير - جعلها منوطة بالعدل والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال -جل وعلا- في أولئك المستأمنين الذين لم يعادوا الإسلام وأهله ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ٨].

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ربما زار جارا له يهوديا، وكان إذا طُبَخ في بيته طبخ أهدى لجيرانه ولو كانوا من غير المسلمين تأليفا لهم وترغيبا، أيحِلُّ أن يستباح مال غير المسلم في دار الإسلام وفي دار

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، حديث رقم (٦٥١٦).

(٢) وهذا اللفظ ليس عند البخاري وهو في:

سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشتم، حديث رقم (١٩٨٢)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

ومسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمة الزين) حديث رقم (١٨١٢٥).

العهد؟ لا يحل ذلك؛ بل ماله محفوظ، أذ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ((من آذى معاهدا فأنا خصمه يوم القيامة)).^(١)

ولو نظرت إلى حال أولئك من غير المسلمين في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عهد الخلفاء الراشدين لوجدت أن حقوقه كاملة، ولكن هي حقوق ليست محض تصرفات وأوهام وأفكار؛ لكن حق أعطاهم الله -جل وعلا- إياه، فليس لنا أن نعطي حق من نشاء أو أن نسلب حق من نشاء؛ ولكننا نسير على وفق شريعة الإسلام، فمن آذى معاهداً في دار الإسلام فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصمه. حتى إن الفقهاء وعلماء هذه الشريعة قالوا: لو أغلق الكافر عليه داره في بلد الإسلام وأظهر شيئاً من دينه في بيته، ولم يظهره للناس وشرب الخمر أو زنا فإنه في داره مأمّن، وليس لنا أن ندخل عليه الدار ما لم يكن في ذلك إضراراً بالمسلمين وتعدياً على المسلمين وضرراً يلحق بأمة الإسلام أو يلحق بالجمتمع المسلم، إذا كان في نفسه قد أغلق عليه داره فله حرمة؛ لكن ليس له أن يظهر شيئاً من المعصية أو من الكبائر على المسلمين أو في شارع بلاد المسلمين؛ لأن الحق هنا يكون حقاً للمسلمين يكون حقاً عاماً، وليس له في ذلك حق.

هذا -أيها المؤمنون- من كرامة غير المسلم؛ لكنه ذليل في هذه الدار والمؤمن هو العزيز، لهذا ترى أن حقوق الإنسان قد كفلها الشرع؛ لأن الشرع أعطى الإنسان حقه من جهة الرب -جل وعلا-، أعطاه لا بمحض تحرص ولا بمحض مصالح بشرية وإنما هو من الله، فالذي أعطى الخلق الحق الله جل جلاله، وهو الذي يعلم من خلق كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وكما قال جل وعلا: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إذا نظرت إلى حق الإنسان المسلم بل وغير المسلم في بلد الإسلام على دولة الإسلام وجدت أيضاً حقوقاً مختلفة له؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وهذا يشمل الجميع الحاكم والمحكوم، فالكل يجب عليه أن يؤدي الأمانة، فدولة الإسلام عليها أن

(١) أورده الشيخ الألباني في ضعيف الجامع، رقم (٥٣١٤) بلفظ ((من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)). جاء في البخاري كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، حديث رقم (٣١٦٦): ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)).

تحفظ للمسلم حقه في ماله، فلا تسلب منه ماله، ولا تقيد في تصرفاته في ماله بأن تجبره على تصرفات في ماله لا يرضاها إلا في مصالح كبرى يسميها بعض العلماء المظالم المشتركة، وهذا له بحث ليس هذا مكان ضبطه وتناوله.

ولكن في العموم المسلم له حق على الدولة وليس لها أن تظلمه وليس لها أن تسلبه حقه في التصرف في ماله، يتاجر في الحلال بما يشاء، فليس عندنا في بلاد الإسلام ما يسمى بالمؤسسات الرأسمالية التي يكون فيها أصحاب رأس المال الصغير أذلاء لأصحاب رأس المال الكبير؛ بل يعطى هذا الفرصة ويعطى هذا الفرصة، بخلاف البلاد الرأسمالية التي تكون فيها السيطرة وتكون فيها الغلبة ويكون فيها الأمر لأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة.

كذلك من جهة حقه في التعليم الذي يباحه الشرع ويجيزه، كذلك من جهة حقه في تنقلاته، كذلك من جهة استعماله لكل حق شرعي أباحه له الله جل وعلا، فإن بلاد الإسلام وإن اجتمع المسلم؛ بل إن الدولة الإسلامية تعطيه ذلك الحق.

وهذا -ولله الحمد- من كرامة الله جل وعلا لابن آدم من كرامته للإنسان المسلم، ولو عقل الناس لعلموا أن العز كل العز في شريعة الإسلام، وأن الذل كل الذل في غير شريعة الإسلام.

من جهة أخرى أنظر إلى أولئك الذين تبّنوا في الظاهر هذه الكلمة التي لا يفهمها الكثيرون، وهي كلمة (حقوق الإنسان)، أنظر إلى أفعالهم، أفيكون حقاً للإنسان أن يقتل الآمنون جماعات؟ أن يقتل الآمنون ألوفاً؟ أن يقتل الآمنون بأكثر من ذلك؟ أفيكون حقاً للإنسان أن يجعل الإنسان ذليلاً أسيراً في أيدي وفي تصرف أصحاب الأموال الكبيرة؟ أفيكون من حق الإنسان أن يكون مكرماً في بعض أجناسه، وأن تكون بعض أجناس الإنسان ذليلة في نزعة عرقية بحتة؟ أفيكون من حق الإنسان عند أولئك أن يكون الإنسان نوع من الإنسان مرفوعاً مبجلاً دمه يساوي دم ملايين من البشر وأما دم الآخرين فلا يسوي شيئاً؟

التناقض يعود على القاعدة بالبطلان، فأنتم أنظروا وحكموا لتعلموا أن العز كل العز في شريعة الإسلام.

لكن أيها المؤمنون؛ قد يكون القصور يأتي من جهة بيان الشريعة، من جهة أن المبينين للشريعة لا يحسنون بيانها، أما الشريعة في نفسها فهي من الحق -جل جلاله- كاملة مبرأة من كل نقص وعيب، صالحة لإعجاز الإنسان كل الإنسان، وإكرامه، صالحة لكل زمان ومكان؛ لكن المنتسبون للإسلام قد

لا يعقلون الشريعة، وقد تكون أفهامهم تقصر عن علاج بعض الحوادث، وليس العيب في الإسلام إنما العيب في بعض أهله، فلتكن عزيزا بالإسلام، ولتكن قويا به، مدافعا عنه، معتقدا قوي الاعتقاد أن الحق فيه وأن الباطل في غيره.

اللهم اجعل قلوبنا مطمئنة لدينك، اللهم نسألك أن تجعلنا من المنافحين عن دينك وعن شريعتك، وأن تجعلنا ممن يقولون الحق ويبينونه.

اللهم مُنَّ علينا بفهم صحيح للدين ومُنَّ علينا ببيان سديد له.

اللهم من كان مهتديا فزده هدى، ومن كان ضالا اللهم فاجعله من المهتدين ومُنَّ عليه بعفوك وكرمك.

واستمعوا قول الحق -جل جلاله- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم

[الخطبة الثانية]

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، هو الداعي على رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله فإن بالتقوى رفعتكم، وإن بالتقوى فخاركم وإن بالتقوى، رضا ربكم عليكم، فاتقوا الله جل جلاله، واتقوه حق تقاته وعظّموا أمره وعظّموا نهيّه.

ثم اعلّموا رحماني الله وإياكم أنّ هذا الشهر شهر الله المحرم فيه يوم سن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صيامه، ألا وهو يوم عاشوراء اليوم العاشر من محرم وصيامه يكفر ذنوب سنة، فإن الله جل جلاله جعل لكم أيها المسلمون ما تكفرون فيه ذنوبكم بأعمال يسيرة، فأقبلوا على ذلك، وإنه لصيام يوم يسير وإن الصيام ليكفر سنة كما ثبت ذلك عن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأفضل لمن أراد صيامه أن يجمع اليوم التاسع من المحرم لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لَنْ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ))^(١) يعني مع العاشر من محرم، وهذه هذه هي السنة، وهو الأفضل لمن أراد أن يصوم، ومن أراد الاقتصار عن العاشر من محرم فإنه لا بأس بذلك ولا يُكره.

وإن الحديث -أيها المؤمنون- عن حقوق الإنسان في الشريعة وعن تنفيذ الحقوق التي يدعيها أولئك الكفار والغريبون وغيرهم للإنسان، إن الحديث عليه طویل ولكن ما ذكرنا إشارات لعلها تكون مفاتيح لفهمكم أيها المسلمون لهذا الموضوع الخطير.

هذا واعلموا رحماني الله وإياكم أن الله -جل جلاله- أمركم بمر بد فيه بنفسه وثني بملائكته فقال جل وعلا قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الخنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر اللهم عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان يا رب العالمين اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلّهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد يا أكرم الأكرمين.

اللهم منّ عليهم بالبطانة الصالحة والمستشار الصالح الذي يعينهم إذا ذكروه ويذكرهم إذا نسوه. اللهم حبب إليهم فعل الخيرات ووقفهم، وزدهم اللهم هدى ورشادا يا كرم الأكرمين.

^(١) مسلم: كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، حديث رقم (١١٣٤).

اللهم نسألك اللهم نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا بخاصة وعن سار بلادنا بعامة وبلاد المؤمنين بعامة يا أرحم الراحمين.

اللهم نسألك أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويعافى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء.

اللهم إنا نسألك أن توفقنا قبل الممات بتوبة نصوح بها ترضى عنا، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، أذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم بالسننكم وأعمالكم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

لا عدوى ولا طيرة

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا مُجِدَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فيا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اتقوا الله حق التقوى، عظموا الله -جل وعلا- حق التعظيم فإن الحياة الدنيا إنما هي زمنٌ لعمل الصالحات، فمن عمل صالحاً فله العقبى الحسنة برحمة الله وبفضله، ومن لم يتق الله فلن تجد له مخرجاً، ومن لم يتق الله فستكون له عاقبة الخسرى.

عباد الله، ثبت عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر))؛ ^(١) يعني رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بهذا الحديث نفي ما كان يعتقدُه أهل الجاهلية من الاعتقادات الباطلة التي تؤثر في القلب وتُضعف الظن الحسن؛ بل قد تزيل الظن الحسن بالله -جل وعلا- وقد يكون معها نسبة الله -جل وعلا- إلى النقص، إما بنفي القدرة، وإما بجعل شريكٍ آخر معه في العبادة أو في التأثير فيقول عليه الصلاة والسلام للمؤمنين بالله -جل وعلا- حق الإيمان، للذين يعتقدون أن الله -جل وعلا- هو الذي بيده ملكوت كل شيء، يقول عليه الصلاة والسلام: ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) يعني بقوله: ((لا عدوى)) يعني لا عدوى مؤثرة بطبعها؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن العدوى تؤثر بنفسها تأثيراً لا مردَّ له، وتأثيراً لا صارف له.

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((لا عدوى)) لا ينفي أصل وجود العدوى، ألا وهي انتقال المرض من المريض إلى الصحيح لأجل المخالطة بينهما، فإنَّ الانتقال لأجل المخالطة حاصل ملاحظ مشهود، لكنه عليه الصلاة والسلام بقوله: ((لا عدوى)) لا ينفي أصل وجودها، وإنما ينفي ما كان يعتقدُه أهل الجاهلية في العدوى، من أنَّ الصحيح إذا خالط المريض عدي بالمرض لا محالة، ولا يقع ذلك في اعتقادهم بقضاء الله وبقدره، ويقولون: إن ذلك لا بد أن يكون، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((لا عدوى))

(١) البخاري: كتاب الطب، باب ولا هامة، حديث رقم (٥٧٥٧).

مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وصفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، حديث رقم (٢٢٢٠).

يعني أن المرض لا ينتقل من المريض إلى الصحيح عند مخالطة الصحيح للمريض بنفسه، وإنما انتقاله وإصابة الصحيح بالمرض عند المخالطة إنما هو بقضاء الله وقدره، وقد يكون الانتقال وقد لا يكون، فليس كل مرضٍ معدٍ يجب أن ينتقل من المريض إلى الصحيح؛ بل إذا أذن الله بذلك انتقل، وإذا لم يأذن لم ينتقل، فهو واقع بقضاء الله وقدره، فالعدوى يعني بالمصاحبة والمخالطة من الصحيح للمريض سبب من الأسباب التي يحصل بها قضاء الله وقدر الله -جل وعلا-، وليست لازماً حتماً كما كان يعتقد أهل الجاهلية، ولهذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((لا يورد ممرضٌ على مصحٍّ))،^(١) يعني أن الإبل المريضة لا تورّد على الإبل الصحيحة، لأن الخلطة سبب لانتقال المرض من الإبل المريضة إلى الصحيحة، وهذا فيه إثبات لوجود العدوى؛ ولكنه إثبات لسبب، والسبب يتقى، لأنه قد يحصل منه المكروه، كما أنه إذا باشر المرء أسباب الهلاك حصل له الهلاك بقدر الله وبقضائه، كما أنه إذا أكل حصل له الشبع، وإذا شرب حصل له الرّبي، فذلك كله لأنها أسباب.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((فَرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فَرَارِكٌ مِنَ الْأَسَدِ))^(٢) لأن المخالطة سبب لانتقال المرض من المجذوم إلى الصحيح، فلهذا كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -لثبّت هَذَا النفي من أن العدوى لا تنتقل بنفسها-، أن المرء يجب عليه ألا يباشر أسباب الهلاك، ويجب عليه أيضاً أن يتوكل على الله حق التوكل، وأن يعلم أن ما قدر الله وقضى لا بد كائنٌ لا محالة.

لهذا كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مرةً يأكل مع مجذوم، فأدخل معه يده في الطعام ليبين للناس أن انتقال ذلك المرض ليس بأمر حتمي وإنما هو سبب، والذين يمضون المسببات بالأسباب هو الله جل وعلا، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي يجبر ولا يجار عليه.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد قوله: ((لا عدوى)): ((ولا طيرة))؛ لأن الطيرة أمرٌ كان يعتقدُه أهل الجاهلية؛ بل ربما لم تسلم منه نفسٌ كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما منا إلا، ولكن الله يذهبُه بالتوكل"^(٣) قوله: "ما منا إلا" يعني ما منا إلا من ستخالط الطيرة قلبه، ولهذا نجد أن أكثر الناس ربما وقع في أنفسهم بعض ظن السوء وبعض التشاؤم إما بريح مقبلة وإما بسواه.

^(١) مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وصفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، حديث رقم (٢٢٢١).

^(٢) البخاري: كتاب الطب، باب الجذام، حديث رقم (٥٧٠٧).

^(٣) سنن أبي داود: كتاب الطب، باب في الطيرة، حديث رقم (٣٩١٠).

وإما إذا أراد بعضهم السفر ورأى شيئاً يكرهه ظن أنه سيصيبه هلاك؛ لأنه أصابه نوع تطير، والمؤمن يجب عليه أن يتوكل على الله حق التوكل كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ولكن الله يذهب به بالتوكل" فالطيرة باطلة، ولا أثر لما يجري في ملكوت الله على قدر الله وقضائه؛ يعني لا تستدل بكل شيء يحصل على المكروه، ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره الطيرة ويجب الفأل؛ لأن الفأل فيه حُسن ظن بالله جل وعلا، والمؤمن مأمور أن يحسن الظن بربه جل وعلا.

وأما الطيرة ففيها سوء ظن بالله، بأن يفعل بك المكروه، ولهذا كانت من اعتقادات أهل الجاهلية ونهى عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: ((ولا طيرة)).

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ولا هامة)) وذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن الذي قتل يظل طائرٌ على قبره يصيح بالأخذ بثأره، وبعضهم يعتقد أن الهامة طائرٌ تدخل فيه روح الميت فتنتقل بعد ذلك إلى حيٍّ آخر، فأبطل ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لأنَّ ذلك مخالف لما يمضيه الله -جل وعلا- في ملكوته، ولأن ذلك باطل من أصله، اعتقادات لا أصل لها ولا نصيب لها من الصَّحَّة.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ولا صفر)) وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن معنى قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ولا صفر)) يعني لا تشاؤم بصفر وهو الشهر المعروف الذي نستقبل أيامه.^(١)

ثم لما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لا صفر)) دلنا على إبطال كل ما كانت تعتقده الجاهلية في شهر صفر، فإنهم كانوا يتشاءمون بصفر، ويعتقدون أنه شهر فيه حلول المكاره وحلول المصائب. فلا يتزوج من أراد الزواج في شهر صفر لاعتقاده أنه لا يوفَّق.

ومن أراد تجارة فإنه لا يُمضي صفقته في شهر صفر لاعتقاده أنه لا يربح.

ومن أراد التحرك والمضي في شئونه البعيدة عن بلده فإنه لا يذهب في ذلك الشهر لاعتقاده أنه شهر تحصل فيه المكاره والموبقات.

=

سنن الترمذي: كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، حديث رقم (١٦١٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

سنن ابن ماجه: كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، حديث رقم (٣٥٣٨).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

^(١) هذا القول مروى عن مالك، كما قال ابن بطلال ونقله ابن حجر، ولكن البخاري رجح أن (صفر): هو داء يأخذ البطن، وأيضاً رجحه الطبري.

ولهذا أبطل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الاعتقاد الزائف؛ فشهر صفر شهر من أشهر الله، وزمان من أزمنة الله، لا يحصل الأمر فيه إلا بقضاء الله وقدره، ولم يختص الله -جل وعلا- هذا الشهر بوقوع مكاره ولا بوقوع مصائب؛ بل حصلت في هذا الشهر في تاريخ المسلمين فتوحات كبرى، وحصل للمؤمنين فيه مكاسب كبيرة يعلمها من يعلمها.

ولهذا يجب علينا أن ننتبه لهذه الأصول التي مردها إلى الاعتقاد، فإن التشاؤم بالأزمنة والتشاؤم بالأشهر وبعض الأيام أمر يُبطله الإسلام، لأننا يجب علينا أن نعتقد الاعتقاد الصحيح المبرأ من كل ما كان عليه أهل الجاهلية.

وقد بين ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أحاديث كثيرة تخلص القلب من ظن السوء بربه ومن الاعتقاد السيئ في الأمكنة أو في الأشهر والأزمنة، كما أن بعض الناس يعتقد أن يوم الأربعاء يوم يحصل فيه ما يحصل من السوء، وربما صرفهم ذلك عن أن يمحضوا في شؤوهم.

ولهذا ينبغي علينا -أيها المؤمنون- أن ننبه إلى هذه الأصول وإلى الاعتقاد الصحيح، وأن لا يدخل علينا اعتقادات باطلة، ولا تشاؤم بأزمنة ولا بأمكنة، لأن هذا مخالف لما أمر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللاعتقاد الناصع السليم الذي جاء به دين الإسلام.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والرشاد، والهدى والسداد، وأن يجعلنا معتقدين في الله الظن الحسن دائما، وأن نعتقد أن الله جل وعلا مفيض للخيرات على عباده.

ثم لنعلم أن ما عند الله -جل وعلا- إنما يجلب بطاعته، وأن المكاره المتوقعة أو الحادثة الحاصلة الموجودة إنما تُدفع بالدعاء تارة وبطاعات الله تارة، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ [الطلاق: ٤].

فلا يرد القدر والقضاء إلا الدعاء ولا تستدفع أسباب الهلاك وأسباب الفساد في النفس أو في ما حولك إلا بطاعة الله جل وعلا، جعلني الله وإياكم من المرحومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [سورة العصر].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه حقاً وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ عن الجماعة شذَّ في النار.

ثم اعلّموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال قولاً كريماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من صَلَّى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً))^(١).

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وغنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واهزم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح ولاة أمورنا، ودلّهم على الرشاد وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد.

اللهم انصر عبادك المستضعفين في كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام واقمع أهل الشرك والشك والفساد، وانشر رحمتك بين العباد، يا رب العالمين.

اللهم انصر عبادك المؤمنين على من عاداهم، من اليهود والنصارى والمشركين على اختلاف أصنافهم، واختلاف مللهم، يا أكرم الأكرمين.

اللهم وارفع عن هذه البلاد الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

^(١) مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد، حديث رقم (٤٠٨).

اللهم إنا نسألك صلاحاً فينا جميعاً رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، اللهم أصلحنا وأصلح بنا، واجعل قلوبنا لينة لطاعتك، نعوذ بك من قسوة القلوب، ونعوذ بك من التفريط في فرائضك، ومن غشيان مناهيك ومحرماتك، فاللهم منّ علينا بالالتزام بما أنزلت على رسولك، يا رب العالمين.

اللهم أصلح علماء المسلمين وأصلح ولاة المسلمين وحكامهم، يا رب العالمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم بالسننكم وأعمالكم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

الإنبابة والرُّجوع إلى الله تعالى

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي شرف المؤمنين بطاعته، ورفع رؤوسهم بحمل دينه والاستجابة لأمره ونهيهِ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، هو البشير النذير لم يتركنا على الصلوة والسلام إلا وقد بين لنا مهاوي الردى لكي نتجنبها، ومسالك الهداية ومسالك التقوى، ومسالك وسبل جنات عدن حتى نقبل عليها ونسلكها، فصلّى الله عليه كفاء ما أرشد وعلم وبين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فيا أيها المؤمنون: اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله؛ إنّ الله -جل جلاله وتقدّست أسماؤه- يحبّ المنيين من عباده، يحبّ الذين إذا فعلوا أمراً فيه مخالفة أو تفريط وتضييع للواجب أنهم يرجعون إليه سريعاً وأنهم يقبلون على ربهم بتوبة وإنابة صالحة، فإن الله -جل وعلا- يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين، وبيكم صلّى الله عليه وسلّم بين أن كل ابن آدم خطاء وقال فيما صحّ عنه عليه الصلوة والسلام: ((كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))^(١).

وذلك أن ابن آدم يغلبه ظلمه لنفسه، وربما غلبته شهوته وحبّه للدنيا حتى ينصرف عن الآخرة ويُقبل على دنيا دون نظر إلى ما ينفعه وإلى ما يصلح حاله، في المال، وفي العاجل، والآجل، وهذا من ضعف البشر.

أيها المؤمنون؛ ما منا إلا وعنده غلط، وعنده خطأ، وربما عنده تضييع للواجبات، وربما انتهاك للمحرمات، كل منا فيه تقصير بحسبه، كل منا تعرض له الغفلة بحسب حاله، كل منا له من التقصير ما له، يعرف ذلك من نفسه، وهل يجوز لنا أن نبقي على أخطائنا، وعلى تقصيرنا، وعلى إعراض كثير منا دون إصلاح لأنفس، ودون إصلاح لما حولنا، ودون أن يوطن المرء المسلم نفسه على طاعة الله، فكلنا خطاء؛ ولكن خير الخطائين التوابون.

(١) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٤٩٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١).

قال الشيخ الألباني: حسن.

ولهذا قال أهل العلم: إن علاج الغلط، وإن علاج التفريط بالأوامر، وإن علاج ارتكاب المنهيات يكون بأمور منها: أن يتعلم المرء ما يجب عليه، وأن يعلم حق الله -جل وعلا- عليه، فإذا علم حق الله عليه، وعلم ما يجب عليه تجاه ربه فإنه لن يعصي الله ولن يفرط في أمره؛ إذ معرفة الله بأسمائه وصفاته تُلين القلب وتحمل المرء على أن يُجل الله -جل وعلا- ثم يلزم العمل الصالح، فإذا لزم العمل الصالح فإنه ييسر له أن يتجنب المحرمات، وييسر ويوفق إلى الإقبال على الطاعات، ولا شك أنه لا يجوز أن يسترسل المرء مع هوى نفسه وأن يجتنب الطاعات وهو مأمور بإتيانها، وأن يقبل على المناهي وهو مأمور بتركها، فهو مأمور بترك المنهيات والإقبال على الواجبات، إذ حق الله جل وعلا أعظم وأجل وأرفع من حق النفس.

ولذلك كان واجباً علينا أن نسعى في إصلاح أنفسنا، وأن نقبل على أن يتعرف كل منا على خطأ نفسه وعلى ما فيها من العيوب كي يصلحها، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب الناس. ثم إن من أسباب العلاج النافع، ومن أسباب الإقبال على الله أن يرى المؤمن ما يقربه من جنات عدن، فيأتيه وهو محق؛ لأننا إذا علمنا الثواب والعقاب حملنا ذلك على الإقبال على الطاعة وعن الابتعاد عن كل منهى عنه وإن لكل إعراض سبباً، وحق على المسلم أن يباعد نفسه عن أسباب الردى، وعن أسباب الإعراض، وعن أسباب ترك الإقبال على ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة.

عباد الله؛ منا المفرط في الصلاة، منا المفرط في ذلك الركن الأعظم؛ بل أعظم الأركان العملية في دين الإسلام، ألا وهو الصلاة، فربما أخرجها عن أوقاتها، وربما بعض منا لم يؤدها في المساجد مع الجماعة كما أمر الله -جل وعلا- وأمر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يجب عليه أن يتفطن في أسباب ذلك، فإن كان لا يعلم فضل الصلاة وفضل أدائها في الجماعة فليتعرف إلى أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي منها قوله: ((الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر))^(١)، ثم ليتعرف على قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه))^(٢)، يعني لو يعلم الناس ما في التبكير إلى الصف الأول والتبكير إلى الصلاة بعد سماع النداء من الأجر العظيم ثم لم يجدوا إلا أن يعملوا شركة ويتشاركوا فيما بينهم في ذلك

(١) مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... حديث رقم (٢٣٣).

(٢) البخاري: كتاب الأذان، باب الإستهام في الأذان، حديث رقم (٦١٥).

مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوسة الصفوف وإقامتها وفضل الصف الأول، حديث رقم (٤٣٢).

الأجر ويزدحموا على الصف الأول لفعلوه، فإذا كان منا من يفرط في الصلاة فليراع نفسه بما جاء من فضل الصلاة وبأنها حق الله وبأنها واجب من واجبات الإسلام وركن من أركان الإسلام، ثم ليبتعد عن أسباب ترك الصلاة وعن أسباب التهاون بها من عدم أدائها مع الجماعة في المساجد، فإن المرء إذا ترك الأسباب المفضية إلى غير الحق والهدى فإنه ييسر له أن يُقبل على الخير والهدى وما فيه صلاحه.

كذلك المرء إذا كان صاحب مال وترك أداء الزكاة وترك حق الله -جل وعلا- في المال فإنه يجب عليه أن يتعرّف إلى ما أوجب الله من حق المال، فإذا عرف ذلك وعرف الوعيد العظيم في تارك الزكاة، ومن لم يؤدّها وعرف أن الزكاة قرينة الصلاة، وما أعدّ الله -جل وعلا- للمتصدقين وأن الصدقات طهرة تزكي المال وتزكي صاحب المال، وهي طهرة للقلب وطهرة للمال وطهرة للنفس كما قال الله جل وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، إذا علم ذلك ثم تخلص من شح النفس، وعلم الأسباب التي تصرفه عن أداء حق الله في الزكاة أتى مطيعاً سريعاً فأدى حق الله في المال، طيبةً بذلك نفسه، مقبلاً غير مدبر، محباً للإنفاق لا مبغضاً له، لأنه يعلم قول الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

نعم، إن وعيد مانع الزكاة لشديد، كذلك من رأى المال وأنه كل شيء في حياته يقبل على المال وعلى اكتسابه، سواء كان من غش في البيوعات، أو كان من أكل الربا الذي توعد الله فاعله بحرب من عنده، أو كان بأكلٍ للرشوة وغش للأمانة، أو كان بغير ذلك.. من أكل مال اليتيم، أو أكل الأموال ظلماً، أو التعدي على حقوق الناس بالغصب وبأكل أموالهم، إذا زينت له نفسه حب المال وغشي قلبه حب المال وحب الدنيا، فليعلم أنه مسؤول عن ماله، وأن المال الحرام إذا نبت منه جسده ونبت منه جسده أولاده من أولاد أو بنات وأطعمه أهله فإن ذلك وبال عليه وعلى من بعده؛ لأن المال الحرام يرفع صاحبه يديه إلى الله فلا تستجاب له دعوة، ويخذل في أيام حاجته من مرض أو فاقة، وإن عاقبة المال الحرام إلى قلة، في عدده وفي صفته، إذا تبين للمرء ما أوجب الله جل وعلا من اكتساب المال في المباحات ومن المباحات، وأنه يجب عليه أن يبتعد عن المحرمات، وأن المال الحرام يعذب به صاحبه يوم القيامة أمام الناس وأنه لا نفع فيه، فليحذر ذلك، فإنه مع العلم بذلك ومع ترك أسباب محبة المال الباطلة التي تحمل صاحبها على كسب المال من الحرام يرحى أن يصلح غلطه، وأن يتوب من ذنبه، وأن يقبل

على اكتساب المال المباح، فإن المال إنما هو في بركته لا في عدده، فكم من أناس بلغت أموالهم كذا وكذا، فلم تنفعهم وربما كانت وبالاً عليهم.

كذلك إذا رأى المرء في نفسه ومن نفسه تقصيراً في حقوق أهله، وفي حقوق ولده، وفي رعايته لأمانة بيته، إذا رأى ذلك، فليسرع إلى تصحيح ذلك، وليسرع إلى مجانبة الأسباب التي تحمله على أن يضيع بيته، وأن يضيع تربية أهله وتربية ولده، وليتذكر قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((كَلِمَةٌ رَاعٍ، وَكَلِمَةٌ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))^(١)، وإنه لا يجوز لنا أن نرى تقصير أنفسنا وأخطائنا ثم لا نتبع ذلك بإصلاح، من كان شحيحاً في بيته، فليعلم أنه مسئول وأن الله أوجب عليه الإنفاق فليسارع في الإنفاق بما أوجب الله عليه، ومن كان مبذراً مسرفاً في بيته فليتذكر قول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] فنهى -جل وعلا- عن الطرفين، طرف التفريط والإفراط، طرف الإسراف وطرف الشح، فلنحمل أنفسنا ولنعتبر بأخطائنا ولنتدبر حالنا، فإننا إذا كنا راغبين في دار الخلد وراغبين في رضا الله فإننا سنسرع حتماً في إصلاح أخطائنا وفي إصلاح ما يجعلنا نفرط في أوامر الله أو نقبل على محرمات الله.

كذلك إذا رأى المرء منا نفسه مسرعة في اغتياب الناس لا يراعى المرء لسانه ولا يراعى لسانه إحصاناً، فإنه إذا كان كذلك يجب عليه أن يتفكر في لسانه؛ وأن اللسان صغير جرمه ولكن جرمه كبير، نعم، إن اللسان يوقع المرء في المهالك، ويوقع المرء في الموبقات، فقد سأل الصحابي الجليل معاذ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أَوْ إِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَقُولُ؟ قَالَ: ((ثَكَلْتُ أَمْكُ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ)) أو قال: ((عَلَى مُنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ))،^(٢) فليتذكر كل منا ممن أطلق لسانه في غيبة الناس، وجعل مجالسه مع أصحابه في غيبة ونميمة، بل جعل مجالسه في إظهار النفس واحتقار الآخرين، يحتقر عباد الله المؤمنين، ويحتقر الناس، ويغتاب هؤلاء، ويقذف هؤلاء، ويشتم ذاك ويطعن ذاك، ويعتقد أن هؤلاء فيه سلوة للنفس وإنما ذلك مكتوب عليه،

(١) البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، حديث رقم ٢٥٥٤.

مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، حديث رقم ١٨٢٩.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦).

سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

يكتب عليه كل ما تلفظ به من خير أو شر، فيأتي يوم القيامة بحسنتٍ ولكن يُعطى منها من اغتابه أو من شتمه أو من تعرض له بقذف ونحو ذلك، فيبقى يوم القيامة فقيراً مسكيناً، واللسان هو أحق ما يكون بطول صمتٍ إلا فيما ينفع ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

نعم أيها المؤمنون: منا من يجعل مجالسه في غيبة وغيمة، وربما كان في أمور أعظم، وهذا مما يجب أن نتوب منه وأن نحسن أنفسنا وأن نجعل ألسنتنا تنطق فيما يعود علينا نفعه ﴿فَلْنَقُصِّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٧-٨].

من كان منا يرسل نظره، ويرسل طرفه في رؤية النساء ويتبع النظرة النظرة، ولا يراعى لنساء المسلمين حرمة، ويعرف ذلك من نفسه، ويعرف أن ذلك النظر يجلب عليه موبقات، ويجلب عليه أموراً منكراً، ليعلم أن النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فإن لم يُحصن نفسه وإن لم يردع نفسه عن ذلك فإنه ولا شك سيقع فيما بعد في أمور حرمها الله جل وعلا، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تتبع النظرة: النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية))^(١)، وسأل جرير رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال: ((اصرف بصرك))^(٢) لأن النظرة لا يستهان بها.

فمن كان مريضاً بالنظر يتبع النساء وينظر إلى هذه إلى تلك، فليعلم أن ذلك مرض في النفس فليبادر بعلاجه، فهذا أحق بالعلاج من أمراض البدن، وكذلك النظر إلى النساء في الأجهزة المختلفة فإنها تزيّن للقلب الفواحش وتزين للقلب المنكرات يعلم ذلك من علمه.

أيها المؤمنون؛ إن كلاً منا ولا شك عنده قصور، وعنده تقصير، وعنده غلط، وعندنا جميعاً غفلة، نسأل الله -جل وعلا- أن يجنّبنا ذلك وأن يقيمنا على الحق والهدى؛ لكن لا يجوز أبداً أن نستمر مع أخطائنا دون أن نحدث توبة وأن نحدث استغفاراً، فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بقوله: ((يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة))^(٣)، وهو المعصوم عليه

(١) سنن الترمذي: كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة الفجأة، حديث رقم (٢٧٧٧).

سنن أبي داود: كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، حديث رقم (٢١٤٨).

قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) مسلم: كتاب الأدب، باب نظر الفجأة، حديث رقم (٢١٥٩).

(٣) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمة الزين) حديث رقم (١٧٣٩١).

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما يفعل منا من هو مسترسل مع إعراضه يفرط في الواجبات ويغشى الحرمات، ولا يحدث نفسه بتوبة نصوح، بتوبة ونزاهة وقرب إلى ربه، وأن يتأمل ما أعد الله للمؤمنين في جنات الخلد، فهل تُعرض عما أعد الله، وهلاً نستجيب إلى ما أمر الله، وهلاً نجعل الله جل وعلا أحب إلينا من أنفسنا ونجعل أمره مقدماً عندنا على أوامر النفس وشهوات النفس.

اللهم هبّ لنا من أمرنا رشداً، ودلنا على الخير والهدى يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١) ﴿البقرة: ٢٨١﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله، فإن بالتقوى الفخار لنا، والسعادة لنا، والرفعة في هذه الدنيا والآخرة، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله؛ إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته تعظيماً لما أمر، وتشريفاً لمن أمر بالصلاة عليه، فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء، وعن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، [واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح ولادة أمورنا، ودلهم على الرشاد وباعد بينهم وبين أهل البغي والفساد.

اللهم انصر عبادك المستضعفين في كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام واقمع أهل الشرك والشك والفساد، وانشر رحمتك بين العباد، يا رب العالمين.

اللهم انصر عبادك المؤمنين على من عاداهم، من اليهود والنصارى والمشركين على اختلاف أصنافهم، واختلاف مللهم، يا أكرم الأكرمين.

اللهم وارفع عن هذه البلاد الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والحقن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم بالسننكم وأعمالكم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.]



خطبة

عيد الأضحى ١٤٠٥ هـ

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الله أكبر كلما قصدوا البيت الحرام، وطافوا وسعوا وشربوا من زمزم، وصلوا خلف المقام، والتزموا بالملتزم.

الله أكبر كلما وقفوا بعرفة، وساروا إلى المزدلفة، وأقاموا بمنى.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله ولي المتقين، الحمد لله رحمة قريب من المحسنين.

أحمده سبحانه وأشكره فتح أبوابه للتائبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند ولا ظهير له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، أدّى الرسالة، ونصح الأمة، وبلغ البلاغ المبين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته أجمعين، ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

أما بعد؛ فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الله بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، أرسله بالإسلام للناس كافة عربهم وعجمهم، أسودهم وأحمرهم، لا يسع أحد الخروج عنه أو التدنّ بغيره؛ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، أمر بالتوحيد ونهى عن الشرك، أمر بالكفر بالطاغوت وكل متبوع أو مطاع من دون الله، ولا دين غير الإسلام ولا شريعة غير شريعة الله ولا تقارب ولا مقارنة بين الإسلام وغيره من الملل، ولا تقارب ولا مقارنة بين شريعة الإسلام والقوانين الوضعية.

إن أصل الدين وقاعدته: توحيد الله؛ توحيدة في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فلا معبود بحق إلا الله وحده، لا دعاء إلا لله، ولا خوف ولا رجاء إلا من الله، ولا ذبح ولا نذر إلا لله، ولا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله، ربنا مترّه عن الند والوالد والولد.

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لا تنفع قائلها، ولا يستقيم له أمرها حتى يصاحب ذلك العمل بمقتضاها، والبراءة من كل معبود من دون الله.

أيها المسلمون، يا أمة الإسلام، لا حياة طيبة ولا أمن ولا سعادة إلا بالإسلام والعمل به، طاعة لله ولرسوله وإقامة حدوده وتزيلا لشرعه في كل ما نأتي وما نذر.

وعلى هذا يجب تعاون المسلمين فيما بينهم مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم، تعاونٌ على البر والتقوى، تعاون وتآزر يوصل إلى جمع الكلمة ويؤدي إلى فهم الإسلام والعمل به، تكاتف جاد يوم استرداد حقوق المسلمين السليبية، واستعادة مقدّساتهم، ومحاربة الفساد والإلحاد، وكافة المبادئ الخبيثة، تعاون يحقق سيادة سلطان الدين في النفوس ونشر الوعي بين أبناء المسلمين، إيمانٌ ووحدة وقوة وعمل صالح.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد...

عباد الله ما أجلّ هذه المناسبة -مناسبة عيد الأضحى المبارك-، وما أعظمها وما أعظم هذا التجمع، وما أكبر خيره وفوائده، متى ما أدرك المجتمعون سر هذا التشريع، وجدّوا في الاستفادة منه، تقارب وتعارف وتدارس للمشكلات، وتعاون في وجوه البر والخير.

إنّ الجامع هو الإسلام، ومن أجل الإسلام، ولأهل الإسلام، ولا يُقدّر هذا حق قدره إلا المؤمنون. أما المعرضون والمقصرون، فلا يكادون يفهمون ولا يُدركون؛ بل إنهم لإعراضهم وتقصيرهم لا يحاولون أن يفهموا أو يستفيدوا من هذه الاجتماعات المباركة.

غير أنه مما يجب أن يُذكر في هذا المقام ضعف بعض علماء الإسلام في أداء واجبهم مما أوجد فراغا هائلا في المجتمعات الإسلامية.

لقد نظر بعض المنتسبين إلى العلم الشرعي، أقول: لقد نظروا إلى علمهم على أنه وظيفة بحتة يقاوضون عليها ويتقاضون عليها ليس إلا، ولم ينظروا إليه على أنه واجب ديني يلزمهم بالتبليغ ويحرّم عليهم الكتمان، فطالب الحق الراغب في فهم الإسلام والعمل به محاصر بتيارات الإلحاد والمبادئ الضالة ولا سيما الرّاغبون من الشباب.

يا علماء الإسلام، يا دعاة الخير والصالح والإصلاح ضاعفوا جهودكم قولا وعملا ودعوة وهداية، اجتهدوا في توجيه عباد الله من رؤساء وقادة وعامة، أدعوهم إلى الأخذ بالإسلام وتطبيق أحكامه في كافة شؤون الحياة، جدّدوا ما اندرس من معالم الدين، ردّوا من حاد وانحرف، علّموا الجاهل، أزيلوا الشبه والضلالات.

إن علماء الشريعة الصادقين، علماء الهدى والصلاح هم القائمون على أبواب الجنة، القائمون على أبواب الخير؛ يهدون إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يقيم الله بهم الحجة، يؤدون ما أوجب الله عليهم وما أخذ عليهم من ميثاق، يردّون عباد الله إلى الله، يجمع الله بهم القلوب وتتحدهم الصفوف، وتتطهر بهم المجتمعات من الرجس والخبث، يقاومون المبادئ المضادة للإسلام من شيوعية ومادية وإلحاد، في كافة الأشكال والصور، وعلى سائر الأصعدة والمجالات.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً...

أما أنتم يا ولاية أمور المسلمين، ويا قادة أمة الإسلام، اتقوا الله فيما ولاكم الله، راقبوه فيما استرعاكم، أصلحوا ولا تتبعوا سبيل المفسدين، قاوموا الفساد والمفسدين، قوموا بأمر الله وشرعه، تحاكموا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

أصلحوا من وسائل الإعلام لتكون وسائل حق وصدق ودعوة إلى الله ورسوله، لا تكن مثل وسائل الملحدين والكافرين؛ أدوات هدم وتدمير للدين والخلق، ومن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.

أيها القادة؛ احفظوا على المسلمين دينهم وأموالهم وأعراضهم، أعيدوا النظر في مناهج التعليم، وأصلحوا ما يحتاج إلى إصلاح، أعينوا الدعاة إلى الله الصادقين في دعوتهم، المخلصين لدينهم وأمتهم وولائهم، المنتصرين للحق، أعينوهم بالقول والعمل والقبول، أفشوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التزموا بذلك وألزموا به رعاياكم، خذوا على أيدي السفهاء.

أما أنتم يا عامة المسلمين اتقوا الله في دينكم، اتقوا الله في طاعة الله ورسوله وطاعة أولي الأمر منكم من الأمراء والعلماء، واعلموا أن الوقوع في المحرمات يضعف الإيمان ويمرض النفوس، اجتنبوا الربا في المعاملات، إياكم وأكل أموال الناس بالباطل، ابتعدوا عن الزنا وشرب الخمر وإضاعة الأوقات وتعاطي المخدرات.

فكل ذلك حرام في دين الله، وسبب من أسباب غضب الله ومقتته، حافظوا على الحدود، وأوفوا بالعهود، الزموا أحكام الله؛ حللوا الحلال وحرّموا الحرام، مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر، تواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر، أحبوا لإخوانكم ما تحبون لأنفسكم.

إن أسباب ضعف المسلمين وفساد أمورهم وتسلط الأعداء عليهم هو -والله الذي لا إله غيره- من عند أنفسهم، بسبب إهمالهم وإعراضهم عما ينفعهم وتقصير كل مسؤول في مسؤوليته من رئيس ومرؤوس، ومن عالم ومتعلم.

فاتقوا الله في دينكم يا أمة الإسلام، اتقوا الله في إسلامكم، احذروا النفاق وابتعدوا عن أسباب الخلاف والشقاق، طهروا قلوبكم من الحسد والبغضاء، والشحناء تصلح أموركم وتستقيم أحوالكم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)﴾ [الحج: ٧٧].

نفعي الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، الله أكبر أوجد الكائنات بقدرته، علا بقهره فوق جميع مخلوقاته، خلق المخلوقات على ما شاء فأتقن ما صنع.

الله أكبر شرع الشرائع فأحكم ما شرع. الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده - سبحانه - وأشكره لا إله غيره ولا رب سواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، عبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا. الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

أما بعد؛ فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوه حق التقوى، واجتنبوا أسباب سخطه ومقته. واعلموا أنكم في أيام فاضلة ومواسم كريمة، فأشغلوها بذكر الله وفعل الخير، وزينوها بالتكبير وعظموا شعائر الله، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾ [الحج: ٣٢]، وإن من أعظم ما يتقرب به إلى الله - عز وجل - في هذه الأيام الأضاحي، فهي سنة الخليلين إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - أنهم قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: ((سنة أبيكم إبراهيم)) قالوا: فما لنا فيها؟ قال: ((بكل شعرة حسنة)).^(١)

^(١) سنن ابن ماجه: كتاب الأضاحي، باب ثواب الأضحية، حديث رقم ٣١٢٧.

وفي الحديث أيضا عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **((ما عمل ابن آدم يوم النحر من عمل أحب إلى الله من هراقة دم، وإنما لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلالها^(١)، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفسا^(٢))).**

فقد ضحَّى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمَّى وكبر،^(٣) فقرب أحدهما وقال: **((بسم الله، اللهم هَذَا عن محمد وأهل بيته^(٤))).** وقرب الآخر وقال: **((بسم الله، اللهم هَذَا منك ولك، وعن من وَحَّدَكَ من أمّتي^(٥))).**

واعلموا -وفقني الله وإياكم- أن وقت الذبح يبدأ من بعد صلاة العيد إلى غروب الشمس آخر أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد العيد على الراجح من أقوال أهل العلم.

ولا يصح في الأضاحي:

- المريضة البين مرضها.
- ولا العوراء البين عورها.
- ولا العرجاء التي لا تطيق المشي مع الصّاح.
- ولا الهزيلة التي لا مخّ فيها.
- ولا الهدماء الذي ذهبت ثناياها من أصلها.

=

قال الشيخ الألباني: ضعيف جدا.

^(١) قال صاحب مختار الصحاح: الظلف للبقرة والشاة والظلي كالحافر لغيرها. في مادة (ظ ل ف)

^(٢) سنن الترمذي: كتاب الأضاحي، باب ما جاء في فضل الأضحية، حديث رقم ١٤٩٣. وقال: هَذَا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث هشام بن عروة إلا من هَذَا الوجه. ونقل المباركفوري عن ابن العربي أنه قال في شرح الترمذي: ليس في فضل الأضحية حديث صحيح، وقال المباركفوري: الأمر كما قال ابن العربي، أما حديث الباب فالظاهر أنه حسن وليس بصحيح والله أعلم.

سنن ابن ماجه: كتاب الأضاحي، باب ثواب الأضحية، حديث رقم ٣١٢٦.

قال الشيخ الألباني: ضعيف.

^(٣) البخاري: كتاب الأضاحي، باب وضع القدم على صفح الذبيحة، حديث رقم ٥٥٦٤.

مسلم: كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير، حديث رقم ١٩٦٦.

^(٤) مسلم: كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير، حديث رقم ١٩٦٧. بنحوه.

^(٥) سنن أبي داود: كتاب الضحايا، باب في لشاة يضحي بها عن جماعة، حديث رقم ٢٨١٠.

سنن الترمذي: كتاب الأضاحي، باب، حديث رقم ١٥٢١.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

- ولا العضباء التي ذهب أكثر قرنها أو أكثر أذنها.
- ولا الجذاء التي نشف ضرعها وبيس من الكبر.
- كما لا تجزئ الجرباء.

ولا يجزئ من الإبل إلا ما تم له خمس سنين، ومن البقر ما تم له سنتان، ومن المعز ما تم له سنة، ومن الضأن ما تم له ستة أشهر.

وتجزئ البقرة عن سبعة، والبدنة عن سبعة، وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته.

يأكل ثلثا ويتصدق بثلث ويهدي ثلثا، ولا يبيع منها شيئا ولا يعطي الجزار أجرته منها، وإذا كان الجزار محتاجا أعطاه منها صدقة غير الأجرة.^(١)

فاتقوا الله أيها المسلمون، وانبذوا عن أنفسكم الشح والبخل، وأنفقوا من مال الله الذي آتاكم، واستنوا بسنة نبيكم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وضحوا لأنفسكم وأهلكم، وأكثرُوا من ذكر الله وشكره، وصلوا أرحامكم وأكرموا المساكين والأيتام وتصافحوا وتناصحوا، وتسامحوا وتزاوروا، وكونوا عباد الله إخوانا.

وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله، فقد ذكركم بذلك المولى جل وعلا، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد أفضل من صلى وصام وضحى وحج البيت الحرام.

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين، الأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وعننا معهم بعفوك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك المؤمنين.

اللهم تقبل من الحجاج حجّهم، واغفر ذنبهم، واجعل سعيهم مشكورا، وعملهم عملا صالحا مقبولا، وأعدّهم إلى أهلهم وديارهم سالمين غانمين، وتقبل منا ومنهم يا أكرم الأكرمين.

^(١) ولمزيد من التفصيل انظر تفريغ (محاضرة أحكام الهدي والأضاحي) للشيخ صالح آل الشيخ ففيه نوع تفصيل.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وارزقهم البطانة الصالحة، ووفقهم لتحكيم شرعك، وإعزاز دينك، واجمع كلمتهم على الحق يا أرحم الراحمين. اللهم وأبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك^(١)، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، إنك على كل شيء قدير.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك؛ الذين يريدون إعزاز دينك وإعلاء كلمتك، اللهم كن لهم ومعهم، ولا تكن عليهم، اللهم اجعل الدائرة على أعدائهم يا سميع الدعاء.
ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



^(١) قال الشيخ صالح في لقاء له مع قناة المجد: كما أسأله سبحانه أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويعاقب ويهتدى فيه أهل المعصية إنه سبحانه جواد كريم. وكذلك محاضرة (كيف يفكر المسلم) التي كانت بتاريخ ١٤٢٤هـ.

وقال الشيخ صالح في لقاء له مع جريدة الرياض: ومنذ قدّم أرى خطأ المقولة التي تبناها العز بن عبد السلام وهي في دعائه: (اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك).

هذا دعاء شائع ربما تسمعون، وأنا دائماً أقول في لقاءاتي بالخطباء بأننا إذا قلنا: يذل فيه أهل معصيتك. معنى ذلك إنني أدعو بالذلة على نفسي أولاً، فلا أحد يسلم من الذنب، وأنا دائماً أقول في لقاءاتي بالخطباء بأننا إذا قلنا: يذل فيه أهل معصيتك. معنى ذلك إنني أدعو بالذلة على نفسي

وهنا (يذل فيه أهل معصيتك) هي لغة أتى بها الفقيه العز بن عبد السلام يقصد بها أمراء وقته. وينبغي ألا ندعو بالذلة على جزء منا وفيينا، والله جل وعلا يقول ﴿وَأَخْرُوجُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

خطبة جمعة

العين حق

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله جعل لكل شيء قَدْرًا وَقَدْرًا، مضى حُكْمُهُ في خَلِيقَتِهِ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، سبحانه من إله قوي قادر، لا ينفذ شيء إلا وفق حكمته، ولا يمضي شيء إلا بإذنه وإرادته، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، بشر وأنذر وأقام الحجة على العباد، فَهُمْ إلى قيام الساعة مجوجون ببعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشر بالجنة وأنذر من النار، علّم الأمة الخير؛ فلا خير يقرّبهم إلى الله إلا ودلّهم عليه، ولا شر إلا وحذّرهم منه، فصلى الله وسلم على نبينا محمد كفاء ما أرشد ويّين وعلم، صلى الله على آله صحبه ومن اهتدى بهُداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((العين حق))، ^(١) وروى مسلم أيضاً في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)). ^(٢)

فهذان الحديثان وغيرهما من الأحاديث يبيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهما للأمة أن العين حق؛ يعني واقعة وليست خيالاً وليست كذبا؛ بل هي واقعة في الناس باختلاف الوقوع، تارة تكون عينا من الجن، وتارة تكون عينا من الإنس، فهي حق واقعة، وأكد ذلك عليه الصلاة والسلام مبيناً نفوذها في الناس، ومبيناً أثرها، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)) يعني أن وقوعها بمجرّد رؤية العائن، أو بمجرد تعلق نفسه بمن أصابته نفسه، فإن ذلك يمضي ولا يتأخّر، فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين.

^(١) البخاري: كتاب اللباس، باب الواشمة، حديث رقم (٥٩٤٤).

مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، حديث رقم (٢١٨٧).

^(٢) مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، حديث رقم (٢١٨٨).

العين -عباد الله- حق، والناس منهم طائفة مصابون بالعين، إما أن تكون عينا من الإنس وإما أن تكون عينا من الجن، والناس في هذا ثلاثة أصناف:

﴿منهم من يكذب بالعين رأساً؛ منهم من لا يؤمن بوجود العين، وهؤلاء هم الذين لا يؤمنون إلا بالحواس، ولا يعقلون أثر النفوس وتعلقات الروح بالغير، ولا يوقنون بما أنزل الله على رسوله وأخبر به عليه الصلاة والسلام، هؤلاء ماديون، لا يرون أن العين حق، ولا يرون أنها واقعة في الناس، فإذا أصيب مصاب بشيء من الأمراض التي يسمونها نفسية أو شيء من الإصابات التي لا يعرفون سببها قالوا هي كذا وكذا ولم يعزوها إلى العين، وربما كانت من العين تكذيباً بالعين، وهؤلاء لم يؤمنوا بما أنزل الله -جل وعلا- وبما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم.﴾

﴿وطائفة أخرى من المسلمين تعلقت قلوبهم أكبر التعلق بأثر العين، فإذا أصابهم شيء صغر أو كبر علقوه بالعين، فأصبحوا يخافون من العين خوفاً كبيراً، وأصبحت قلوبهم وجلة من أثر العين ومن حسد الحاسدين في أنفسهم وفي أولادهم وفي أموالهم، فرأوا أن كثيراً من الأشياء معلقة الوقوع بالعين، وهذا فيه نوع مبالغة وفيه غلو.﴾

﴿والطائفة الثالثة التي سارت على الحق وأيقنت ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، فأمنت بأن العين حق وأنها واقعة في الناس، وأن من الناس من نفسه تتعلق بما عند الآخرين فتارة تحسدُهم، وتارة تتمنى ما في أيديهم فيؤثر ذلك، إما بأثر العين مباشرة، أو بأثر تعلق النفس، فيؤثر ذلك في الغير تأثيراً مباشراً، وهذا واقع، ولكنه ليس كما يظنه كثيرون منتشر انتشاراً كبيراً؛ لأن ذلك نوع من الغلو وليس هذا بما أمرنا به، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن العين حق، وأخبر بما يدفعها أو بما يرفعها، ولم يعلق الناس كثيراً في أمراضهم بأمر العين؛ بل إنه حكم فيها بحكم عدل بحسب وقوعها في الناس.﴾

ولهذا كان مما ينبغي على الناس أن يعرفوا حكم الله جل وعلا وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة بما يتعلق بأمر العين، فإن العين حق ولكن كيف تستدفع العين، أم كيف ترفع إذا وقعت، فإن الناس إذا وقعت عليهم بعض الأمراض وظنوا أنها من العين ربما سلكوا فيها مسلكاً غير شرعي؛ ربما سلكوا في مداواتها مسلكاً غير شرعيٍّ بذهاب إلى بعض المشعوذين الذين يتعدون فيخبرون بأن هذه عين؛ وتارة يقولون: هي عين من كذا وكذا؛ فيصفونها بما هو من جنس علم الغيب.

والذي يجب علينا أن نعلم أن الشرع أمرنا أن نستدفع العين قبل وقوعها بأنواع من الأدعية وأنواع من الأذكار اليومية والأذكار الزمانية، فإنّ هذا نافع بإذن الله، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقرأ في إقبال النهار وفي إدباره سورة الإخلاص، ويقرأ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وهذه نافعة، نافعة بإذن الله من العين فإنها تدفعها قبل وقوعها، فالعين كالسلاح وكالسهم الذي ينفذ إلى بدن المعين، فإذا وقى المعين نفسه بأنواع الوقايات الشرعية والتي منها الأدعية والتعوذات فإنها ترتد تلك العين ولا تؤثر في البدن لأنه محصن نفسه، كذلك قراءة آية الكرسي في إقبال النهار وإدباره وبعد الصلوات المكتوبات وقبل الذهاب إلى النوم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه أمر بقراءة آية الكرسي بعد أدبار الصلوات المكتوبات، وكذلك فإنّ أبا هريرة علم أن يتلو قبل أن يأخذ مضجعه آية الكرسي وأنه لن يزال عليه من الله حافظ ما دام يقرأها قبل المنام.

وهكذا من أنواع التعوذات التي أمر بها عليه الصلاة والسلام وأرشد عليها صحابته نعوذ بها أنفسنا وأهلينا وأولادنا فإنها وقاية من أثر العين ومن أثر حسد الحاسدين، فمن ذلك أن تتعوذ صباحاً ومساءً بل وفي كل وقت بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة، أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها برّ ولا فاجر من شر ما ذراً وبراً، أعوذ بالله من شر ما أجد وأحاذر)) ونحو ذلك من التعوذات التي تدفعها والتي ترفعها إذا وقعت، فإنها مؤثرة جداً ونافعة كما يعرف ذلك المحرّبون.

أما إذا وقعت العين وكان يُظنُّ ظناً راجحاً أنها عين، فإنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أرشد إلى أنه إذا كان يُعرف العائن الذي أصاب بالعين أو يظن أنه يؤمر فيتوضأ؛ كما ثبت في سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر العائن أن يتوضأ ثم يُصب على المعين من وضوئه.^(١) فإن هذا مؤثر.

وكذلك روى مالك في الموطأ أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف وهو يغتسل وكان جلد سهل بن حنيف رضي الله عنه جلداً جميلاً، قال عامر لما رآه لم أر كالיום جلداً قط ولا كجلد مخبأة. يعني امرأة صغيرة حسنة الجلد لم تؤثر فيها الخدمة، فتلبط سهل؛ يعني مكث في مكانه من أثر العين فلما

^(١) سنن أبي داود: كتاب الطب، باب ما جاء في العين، حديث رقم (٣٨٨٠)، بلفظ: كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين. قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

أخبر النبي قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ؟))^(١) ثم أمره أن يغتسل فاغتسل، فُصِبَ ذلك على سهل فقام سهلٌ في الناس يمشي، وهذا مؤثر.

فإذا عرف من هو الذي أصاب بالعين فإنه يؤمر بالوضوء، فإذا توضأ صُبَّ على المعين أو الذي يظن أنه معين صُبَّ عليه على رأسه من قفاه سريعا بغتة، فإن ذلك مؤثر بإذن الله.

وقد ثبت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مصنف عبد الرزاق وفي غيره أنه قال: ((وَإِذَا اسْتَغْسَلْتُمْ فَاغْتَسِلُوا))^(٢) يعني إذا أمر العبد أخاه أن يغتسل له، فلا يتأثر من ذلك ولا يقل: كيف تظن بي كذا وكذا، ولكن ليطاوع أخاه وليغتسل لأخيه؛ لأن ذلك يُذهب ما في نفس أخيه، فإذا استغسل أحدنا يستحب له؛ بل يتأكد في حقه أن يستغسل لأخيه؛ يعني يغتسل ويعطيه الوضوء، ويعطيه الماء الذي اغتسل به، ثم يصبه ذاك على رأس من ظنَّ أنه معين، فإن ذلك ينفعه بإذن الله إذا كان معينا.

كذلك من ظن من نفسه أنه يؤثر وأن له عين نافذة أو نفس متعلقة بما عند الناس أو بجماهم أو بمالههم أو بما في أيديهم، فإنه يتأكد في حقه إذا رأى ما تتعلق به نفسه أن يقول إذا رأى ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، وقد أمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يُبْرَكَ في ذلك الحال، فإذا كان الرجل يحس من نفسه أو المرء أنه متعلق وأن له نفساً تتعلق بما عند الغير وأن له عينا تتأثر وتؤثر فإنه يُسَنُّ له أن يبرك أيضا؛ يعني إذا رأى ما يعجبه أن يقول: اللهم بارك له وعليه. فإن ذلك يقي أثر العين التي تخرج منه.

كذلك إذا وقعت العين ولم يعرف من العائن فإن للشرع في ذلك دلالة يدل بها المؤمنين، فإذا كان ذلك فإنه يعتصم المرء بالرقى الشرعية، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ في الرقية من العين والحمة والنملة.^(٣) فإن العين ترقى، فمن ذلك أن يقول الراقي للمرقي: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن كل عين تؤذيك.^(٤) فإن ذلك ينفع بإذن الله وكذلك سائر الآيات التي تقال وتتلَى وينفث على المرقي نفثا قويا؛ تارة بنفث قوي، وتارة بنفث فيه شيء من البصاق، كما ثبت ذلك في السنة، فإن ذلك ينفع.

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الطب، باب العين، حديث رقم (٣٥٠٩). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) جزء من حديث مسلم رقم (٢١٨٨)، سبق تحريجه في الصفحة (٢).

(٣) مسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، حديث رقم (٢١٩٦).

(٤) مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، حديث رقم (٢١٨٥، ٢١٨٦).

وليحذر المسلمون مما شاع بينهم مما يُعدّ من التعديات؛ بل ومن الخرافات، من أنه يأخذ الرجل أو المرأة، يأخذ في مسح باب بيته، أو مسح الطريق الذي من باب بيته إلى داخل البيت، يظن أن ذلك ينفع لأنه تطّؤه أقدام الناس؛ فإن هذا أمر ليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة، وفيما شرع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنية عما لم يشرع.

كذلك القراءة، القراءة في الماء أو القراءة في زعفران ونحوه، فإن هذا نافع وليس من الأمر الذي ليس له أصل في الشرع، فإنه قد ثبت عن بعض التابعين؛ بل وعن بعض الصحابة كابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكمجاهد وكأبي قلابة وكغيرهم أنهم فعلوا ذلك فلا يظن أن هذا ليس من الأمر المشروع.

وهذا مما يبين أن على المؤمنين أن يسعوا في علاج تلك الأمور بالطريقة الشرعية، وليحذروا من المشعوذين الذين يصفون حال من يأتيهم بأن فيه عينا من كذا وكذا ويصف ذلك رغبة في كثرة مجيء الناس إليه، فإن الرجل الذي هو طالب علم ويقرأ على الناس لا يصف الحال؛ بل يقرأ ويرجو النفع للمقروء عليه، ولا يتعدّى ذلك فإنه إذا تعدى خرج عن الحد الشرعي.

أيها المؤمنون، إن هذا الأمر وغيره من أمور دينكم، عليكم بالتأمل فيه وسؤال أهل العلم عما أشكل عليكم، فإن الناس بين إفراط وتفریط في هذه الأمور، والوسط والعدل قليل سالكه، قليل من يأمر به، قليل من يعرفه.

أسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم من المتبعين لشرعه المقتفين لسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥١-٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقاً، وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق الحمد وأجزله وأرفعه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيّه وخليّله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيّه وخليّله شهادة أرجو معها تحقيق أمرها والوصول بها إلى ما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اعلّموا رحمي الله وإياكم أنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله -عز وجل- فإن بالتقوى رفعتكم وفوزكم في الدنيا والآخرة، ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

واعلموا -رحمي الله وإياكم- رحمة واسعة أنّ الله جل جلاله أمركم بالصلاة على نبيه فقال قولا كريما: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يجاهدون لتحقيق توحيدك ولرفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، اللهم أيدهم بتأييدك وانصرهم بنصرك، اللهم أنصرنا على من عادانا، اللهم انصرنا على من عادانا، اللهم أنصرنا على من سائر المعادين ومن اليهود والمشركين والنصارى والملحدين يا أكرم الأكرمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ودلّهم على الرشاد وخذ بأيديهم إلى الحق واجعلهم محكمين لشرعك ولكتابك ولسنة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عن هذه الديار الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنها الزلازل والحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم واحمنا جميعا من كل سوء واجعلنا مطمئنين، اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا رخاء رغدا واجعل أهله سائرين في طاعتك مقبلين عليك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، نبرأ إليك مولانا من كل أمر يخالف أمرك، من كل أمر يخالف هديك، يخالف ما أنزلت يا أكرم الأكرمين، تقبّل اللهم براءتنا واحمنا، اللهم احمنا من سوء العقوبات يا أرحم الراحمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، أذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم
بألسنتكم وأعمالكم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله، قال الله - جل وعلا - في محكم كتابه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. يقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ الذي أنزلته، الذي هو وحبي على محمد صلى الله عليه وسلم، الذي حمّله جبريل وسمعه من كلامي فبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هو هاد يدل ويرشد إلى أقوم الطرائق وأقوم السبل إلى أقوم الصُّرُط إلى أقوم السبل التي من أراد أن يسلكها فإنه على نجاة ومن خالف ذلك فإنه ابتغى من ليست بطريق قويم.

أيها المؤمنون، إن الله جل جلاله أقام الحجة بهذا القرآن أقام الحجة على العباد بهذا القرآن، وإنها لحجة عظيمة عظيمة، وإن استخف بها الأكثرون ولم يرعها حقها أكثر الناس، ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، إن هذا القرآن بين أيدينا، إن هذا القرآن بين أظهرنا، إن هذا القرآن هو الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بين أيدينا اليوم كما كان بين أيدي الصحابة إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً بين أظهرهم وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام؛ ولكن أولئك الأقوام أخذوا بهداية القرآن، أخذوا بأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، ولم يتخذوا القرآن مهجوراً في العلم به وفي العمل.

إن هذا القرآن أخذه سلف هذه الأمة أخذوه ليأخذوا منه كل خير، ليأخذوا منه ما أمر الله به وما نهى، ليأخذوا منه ما أوجب الله - جل وعلا - فيه وما حرم، ليأخذوا منه ما أخبر الله به من أمور الغيبات فيعتقدوا ذلك ويدعوا الناس لذلك ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، ﴿يَهْدِي﴾ يدل ويرشد ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ من السبل.

ففي مجال العقيدة ففي أمر الله الأعظم؛ ألا وهو أن يعبد الله وحده لا شريك يؤخذ القرآن وهو يهدي للتي هي أقوم، وغيره يهدي للضلالة، يهدي لطريق ملتبسة، يهدي لطريق ظلمة، يهدي لطريق معها الخسار في الدنيا والآخرة.

فالله -جل وعلا- هدايا بين لنا وأرشد في هذا القرآن العظيم أن حقه جل وعلا أن يعبد وحده لا شريك له ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[الزمر: ٦٥-٦٦]، هذا بيان الله للنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه إن عبد مع الله غيره أو أشرك مع الله -جل وعلا- أحدا ليحبطن عمله وهو - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهو النبي المكرم الذي ما من عمل صالح إلا أتاه؛ ولكن إذا طرأ على عمل العبد الصالح الشرك الأكبر بالله -جل وعلا- حبط العمل ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فهدى الله الناس للتي هي أقوم، فبين في هذا القرآن أن العبد وإن كان من أهل الصلاة، وإن كان من أهل الزكاة، وإن كان قائما بالأركان والواجبات، وفاعلا ما فعل من الجهاد ومن أعظم القربات عند الله؛ لكن كان عمله على الشرك ليس هو بخير من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم الذي قال الله له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ لأن حق الله أعظم؛ لأن حق الله أجل.

ومن الناس من لم يهتد بهداية القرآن، فظن أن للبشر مقاما لو أشركوا بالله وعبدوا غيره فإنهم لن يخرجوا من هذا الدين أو لن تحبط أعمالهم، فاعتقدوا في بعض الناس ممن يشركوا بالله ما اعتقدوا، ورفعوهم مقامات، مع أنهم مشركون حصل منهم الشرك بالله.

وهذا نبي الله هدايا الله -جل وعلا- به للتي هي أقوم، وبالقرآن للتي هي أقوم، وفيه أن من عمل الشرك ليحبطن عمله ولو كان أصلح الصالحين، ولو كان نبيا من الأنبياء؛ لكن العبرة أن من البشر من يعظم حق البشر، ولا ينظر إلى عظم المعصية، لا ينظر إلى عظم حق الله جل وعلا، وأن من أشرك بالله جل وعلا، فإنه صادق عليه قوله جل وعلا: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فلا يُعْتَرِ إِنْ بَعَادَةَ عَابِدٍ، ولا جهاد مجاهد ولا دعوة داع، إذا كان قائما على الشرك بالله، إذا كان لا يعرف الطاغوت؛ لا يعرف الطاغوت من التوحيد، لا يعرف الشرك من الحق، لا يعرف عبادة الله وحده، وأنها الحق وأن عبادة غيره هي الباطل، ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن الله هو العلي الكبير.

تذكر هذه الهداية وليكن وزنك للناس وللنفثات وللجماعات وللدول ولكل ما ترى على هذا المقياس العظيم الذي هدانا الله به للتي هي أقوم بقوله جل وعلا لنبيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ مهما كان عليه من الأمر فهو من الخاسرين في الدنيا ومن الخاسرين في الآخرة.

هدانا الله -أيها المؤمنون- بهذا القرآن إن كانت لنا قلوب تعي، وإن كانت لنا أفئدة تعي، هدانا الله بهذا القرآن أن طاعة الرسول واجبة وأن طاعته من طاعة الله، فأمر الله رسوله بأن يبلغ الدين فبلغنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوامر الله وبلغنا نواهيه، بهذا القرآن وبسنة العدنان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولكن من الناس من لم يقبل هذه الهداية دُلَّ وأُرشد وبيَّن له وأقيمت عليه الحجة ويسمع القرآن ويعي معناه وليس ثم شبهة في فهم المعنى عنده؛ ولكنه مع ذلك لا يقبل هذه الهداية للتي هي أقوم، أو بعضهم يقبلها؛ ولكن لا يعمل بها، فله نصيب ممن اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

أمر الله بالصلوات، وأمر بالصدقة والزكاة، وأمر بأركان الإسلام، وأمر بأداء الأمانات، ونهى عن الغش، ونهى عن الغرر، ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل، ونهى عن الظلم؛ ظلم الناس في أعراضهم وفي أولادهم وفي أموالهم وفي أنفسهم، وأمر الله -جل وعلا- بحفظ العقول، وأمر الله -جل وعلا- بالعدل والإحسان، وكل ذلك من الهداية للتي هي أقوم.

فأمر الله بالعبادات بالتي هي أقوم، وبلغها رسوله.

وأمر الله بالمعاملة بالتي هي أقوم، وبلغها رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن ذلك مما بلغ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ الله جل جلاله حرَّم الربا وأمر بالعدل، وحرَّم الغرر وأمر بأداء الحقوق، وحرَّم الرشوة، وأمر بالعدل بين الناس بالتساوي في الفرص وفيما يستحقون، وأمر الله جل وعلا بالمعاملات بأن تكون المعاملات على خير وألا يرتكب فيها ما نهى الله، وبيَّن رسوله أن كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط.

فضعف بعض المسلمين في الإيمان وتركوا هداية القرآن وأخذوا بالربا الذي يمارسه الكفرة، وأخذوا بالغرر الذي يمارسه الكفرة، وأخذوا بأنواع المعاملات استجلبوها من بلاد الكفر، من طرائقهم في البيع والشراء، وأكثرها محرمة لما يشتمل عليه من الظلم والغرر وأكل أموال الناس بالباطل.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت عنه أنه نهى عن الغرر، قال العلماء: النهي يدل على الفساد، فكل معاملة اشتملت على غرر فهي معاملة فاسدة، كذلك البيوع، كذلك أنواع المعاملات التي تشتمل على

شروط باطلة، فإن هذه الشروط إذا كان العقد في أصله صحيحاً فإن هذه الشروط باطلة، وإن أحق الشروط أن يوفى به ما أذن الله جل وعلا به وما أمر به، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط.

وانظر ترى ما حل بالمسلمين من أنواع ظلم بعضهم بعضاً في الأموال، وأكثر الناس لا يشعر بذلك. فالله -جل جلاله- هدى بهذا القرآن للتي هي أقوم، والله -جل جلاله- هدى وبين وأرشد ما يجب أن يتبع في أمور العقيدة وفي أمور المعاملة وفي أمور العبادة؛ لكن هل يأخذ بذلك المسلمون؟ أم أنهم يترددون وتضعف أنفسهم أمام ما يأتيهم من من الغرب أو الشرق، أمام الشبه وأمام الشهوات. هدى الله في هذا القرآن المؤمنين لما به تصح قلوبهم وتطيب أرواحهم، فتكون عباداتهم خاشعة، وتكون صلتهم بالله قائمة على تعظيمه وتبجيله.

هدى الله المؤمنين إلى سبب ذلك وإلى أسباب ذلك، ومنها غض البصر على المحرمات والبعد عن الزنا وما يقرب إليه، فأبى كثير من المسلمين ذلك فلم يغضوا البصر عن ما حرم الله، لم يغضوا البصر عن الشهوات عن شهوات النساء، وأطلقوا أبصارهم ولذلك تجد أن صلاة أكثرهم ليست بخاشعة، وأن أنسه بالله ليس كاملاً؛ بل إن أنسه بالله ضعيف ضعيف؛ لأن الصورة إذا اشتغل القلب بها وأنست بها العين وحلت بالقلب فإنها تضعف التعلق بالله ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فمن أراد الزكاة، من أراد تزكية النفس، قد أفلح من زكاها، من أراد الفلاح بالتزكية فليبعد وليبعد عن رؤية النساء، وعن إطلاق البصر في الشهوات، فإن غض البصر به يورث النور في القلب، وإن النور في القلب نور الإيمان ونور العلم ونور العمل سبيله غض البصر، والطريق إليه أن تغض البصر تعظيماً لله جل وعلا، والله حرم الزنا وحرم الوسائل إليه ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

ومن قرب الزنا أن يستأنس المرء برؤية الصور المحرمة سواء كانت صوراً لنساء تعرض في التلفاز أو تُعرض في الأفلام أو نحو ذلك، أو كانت صوراً على الطبيعة، فإنه لا فرق في التأثير بين هذا وهذا؛ لأن الأثر في القلب واحد، فالصورة صورة والتعلق بها يُذهب نور الإيمان من القلب ويُذهب الأُنس بالله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ إنها بشارة للذين يعملون الصالحات، للذين أخلصوا وتابعوا محمداً صلى الله عليه وسلم في العمل وأخذوا بهداية القرآن فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هدانا الله بهذا القرآن لأداء الحقوق وللبعد عن شرب الخمر، هدانا الله بهذا القرآن للتعاون على البر والتقوى وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هدانا الله بهذا القرآن لاتباع السنة وطاعة الله ورسوله، هدانا الله بهذا القرآن للتحبيب لطرق نيل الجنة، هدانا الله ودل وأرشد إلى ما به نتباعد من النار، هدانا الله إلى ما به تحفوا نفوسنا وتطيب أرواحنا؛ ولكن الشأن في المسلمين هل يأخذوا بهداية القرآن وبما بينه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أم أنهم يسترسلون مع الشهوات ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّي ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

أيها المؤمن إن المسألة خطيرة، إن مسألة الحياة ليست بالسهلة، ففكر ففكر فإن الحياة ميدان خطير، والآخرة هي عمرك الباقي الطويل الذي لا انقطاع له، فإن أثرت هذه الدنيا على الآخرة فلست بذي لب ولست بعاقل ولا تعرف مصلحة نفسك، ثم تأمل فيما به نجاتك يوم القيامة، وأدم النظر والتدبر لهذا القرآن وأطع الله ورسوله فإن في ذلك الفوز والنجاة.

اللهم اجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم اجعلنا ممن قبل وعمل بهداية القرآن، ولا تجعلنا من المعرضين، ولا الجاهلين، ولا الغافلين، نعوذ بك من الغفلة، ونعوذ بك من الجهل، وأنت أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأكرم الأكرمين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى نجاتكم، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا بها، فقد أمر الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين. اللهم أنصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك.

اللهم أنصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لتكون كلمة الله هي العليا.

اللهم أيدهم بتأييدك وانصرهم بنصرك وأمددهم بمدد من عندك، فإنك أنت القوي العزيز، فقوهم وأعزهم يا أجود الأجودين ويا أكرم الأكرمين.

اللهم آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ودلهم على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، اللهم ومنّ عليهم بالمستشار الصالح الذي يذكّرهم إذا نسوا ويعينهم إذا ذكروا ويحبب إليهم الخيرات، يا مجيب الدعوات.

اللهم نسألك أن ترفع عن هذه الديار وعن ديار المسلمين الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك صلاحا في قلوبنا لا يغادر منا أحدا، اللهم أصلح قلوبنا فإنك جواد كريم ونحن ضعاف سائلون، اللهم أصلح قلوبنا جميعا، نسألك اللهم صلاحا في قلوبنا جميعا، وتوبة قبل الممات. اللهم ارض عنا، اللهم ارض عنا، اللهم ارض عنا، واختم لنا بالصالحات.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على النعم
يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة حقيقة الابتلاء

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله وصفيه ومجتاباه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه من اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.
أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حقَّ التقوى، عظموا أمر الله، عظموا نهي الله؛ باستجابتكم لأوامر الله وبالبعد عن مناهي الله، فبذلكم تكون التقوى.

أيها المؤمنون إنَّ الله جلَّ جلاله بيده ملكوت السموات والأرض، فله الملك كله يقدر ما يشاء على عبادته، فيفيض عليهم الخيرات ويمنع عنهم المسرات، يفيض تارة ويمنع تارة، ييسط الرزق لمن يشاء، ويقدر على آخرين أن يضيق. وهذا ابتلاء من الله جل وعلا.

ولذلك الابتلاء حكَم عليا جليلا، يجب على المؤمنين أن يرعوها وأن يتعلموا ويعلموا الأصول الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ التي تبين حقيقة الابتلاء والقصد منه، كما أخبر الله جل وعلا بذلك في قوله: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فأخبر جل وعلا أنه يبلو الناس بالشَّرِّ تارة وبالخير تارة، وكل ذلك فتنة، يكون فتنة لمن أصابه الخير والسراء، ويكون فتنة لمن أصابه السوء والضراء، وكل ذلك داخل في ابتلاء الله حيث اختبر الله للناس.

وعلى هذا فالناس أفرادٌ وجماعات تارة يُبتلون بالخير وتارة يبتلون بالمصايب، وكل ذلك موافق لحكمة الله جل وعلا، فهو الذي يقدر ما يشاء، ويقضي بما يشاء، له الملك كله وله الحكم كله، كل ما يجري في ملكوته بدون استثناء، فإنما هو صادر عن أمره موافق لحكمته موافق لمشيئته جل وعلا، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فطائفة من الناس يُفيض عليهم الله - جل وعلا - الخيرات والنعم والمسرات، والقرآن العظيم وسنة النبي ﷺ يبينان لنا أن ذلك له حكمة كما قال جل وعلا: ﴿وَأَلِّ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧]، فمن أفيضت عليه المسرات والخيرات وأجزلت له النعم وأفيض عليه ما يسره يجب عليه أن يقف وقفة متأملا متدبرا في هذه النعم التي سيقَّت له.

فينظر أولاً هل حاله حال المستقيمين؟ هل حاله حال الذين استقاموا على الطريقة؟ هل حاله حال المؤمنين بالله الذين استجابوا لله فامثلوا أمره واجتنبوا نهيه؟ فإن كانت حاله تلك من الاستقامة والإيمان والصلاح، وأنعم الله عليه من الخير، فليعلم أنّ ما أعطاه الله - جل وعلا - له ليلوه وليفتنه هل يشكر تلك النعم أم لا يشكرها؟

فإنّ من الناس من كانت أحوالهم مستقيمة، فلما أفيض عليهم المال وكُمّلت لهم النعم انخرفوا وضلوا ولم يشكروا الله على نعمه الجزيلة وعلى ما وسّع وأفاض من الخيرات، فمن كان مستقيماً وكانت حاله في رغدٍ من العيش وسلامة وصحة وأمن ونحو ذلك، فليعلم أنّ ذلك اختبار هل يشكر أم يكفر، كما أخبر الله - جل وعلا - عن سليمان عليه السلام حيث قال بعد أن أنعم عليه: ﴿لِيُبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، بعد أن أُوتِيَ له عرش بلقيس وتمّت له تلك النعمة، عرّف أنّ ذلك ابتلاء، وأنّ ذلك ليختبر هل يشكر، أو يظنّ أنه إنما أُوتيه بقواه وأنه إنما أُوتِيَ ذلك بمحض قوته وتفكيره.

صنّف آخر يبتلى بالنعم وتفاض عليه الخيرات، يجب عليه أن ينظر في نفسه إذا كان غير مؤمن بالله الإيمان الكامل؛ إذا كان مفرطاً في الواجبات، مفرطاً في حقوق الله - جل وعلا - وبحقوق الخلق، مقبلاً على المحرمات لا يرعى لله حرمة، ولا يرعى للخلق حقّ، وأنعم عليه بالنعم، فليعلم أنّ ذلك ابتلاء واستدراج من الله كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد وهو مقيم على معاصيه فليعلم أنّ ذلك استدراج»^(١) لأنه استدراج حيث قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (*) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ^(٢) إن الله جل جلاله يغار على حرّماته، ومع ذلك يُفِيض الخير على من لم يستقم على أمره تارة، ليبتيه وليختبره، ثم ليعلم أولئك أنّ ذلك إنما استدراج؛ لكي ينظر الناس في حالهم بعد أن تأخذهم العقوبة.

والمؤمن عليه أن يرجع إلى ربه دائماً بما أعطاه الله من النعم وأفاض عليه من الخيرات، فإن كان مؤمناً سليم الإيمان مقيماً على الطاعات مبتعداً عن المحرمات سعى في شكر ذلك في استعمال النعم في مراضي

^(١) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحزمة الزين) حديث رقم (١٧٢٤٤)، عن عقبة بن عامر، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٤١٣).

^(٢) سورة: الأعراف الآيات (١٨٢-١٨٣)، القلم الآيات (٤٤-٤٥).

الله، وبأن يضيفها وينسبها إلى من أولاهها وأسداها، ثم إنه ينعم بها على من حُرّمها، من كان على غير استقامة؛ على معصية، على موبقات، وعلى تفريط في الواجبات، وأنعم عليه فليعلم أنّ ذلك استدراج، فعليه أن يستيقظ من الغفلة وأن يستيقظ من السنّة التي غشيت عقله وعلت فؤاده، فإنّ المرء إذا أصابته الغفلة خسر ثم خسر خسرانا مبينا.

الطائفة الأخرى من الناس لا تبلى بالنعم، إنما تبلى بالمصائب من الله - جل وعلا - بأنواع المصائب؛ إما بنقص في الأموال، وإما بمصائب بدنية، وإما بمصائب عامة أو خاصة، وتلكم المصائب موافقة لحكمة الله، موافقة لقدّر الله، موافقة لسنة الله التي أمضاها في خليقته، منذ خلق السموات والأرض، ومنذ دبّ آدم على وجه الأرض.

فتارة يكون الذي ابتلي بالمصائب ابتلي بالأمراض، ابتلي بالموت، ابتلي بالجوع، ابتلي بنقص المال، تارة يكون مؤمنا فردا أو جماعة أو أمة.

تارة يكون مؤمنا مسددا كما حصل في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث ابتلي الناس في وقته وهم الكملة المنتخبون، ابتلي الناس في وقته بعام المجاعة المشهور الذي سمي عام الرمادة، كان الناس لا يجدون ما يأكلون وذلك لينظر الله - جل وعلا - في أولئك بذلك الابتلاء وذلك الاختبار، هل يقبلون على ربهم، ويعلمون أن بيده ملكوت كل شيء، وأنه - جل وعلا - ماضٍ حكمه في خليقته، ثم إنهم يبدلون ويضحّون أم إنهم يشحّون على أنفسهم وعلى إخوانهم.

وأنواع من الاختبار والابتلاء؛ بل وكما ابتلي رسول الله ﷺ وصحابته كما حدث لهم في أحد حيث قال الله جل وعلا لهم: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أولئك ابتلوا واختبروا بأنواع من المصائب المؤلمة مع ما هم عليه من السداد في الإيمان وكمال الأقوال والأعمال والبعد عن الشرك والبدع والبعد عن المحرمات صغیرها وجليلها إلا ما شاء الله أن يقع، أولئك كانت لهم ابتلاء واختبارا لإيمانهم؛ هل يصبرون على ذلك أم يتشككون في يقينهم وفي إيمانهم؟ كما يحصل لبعض السفهاء ممن ضَعُفَ دينه وضعف إيمانه وقلّ يقينه.

طائفة أخرى من الناس تبلى بالمصائب من عند الله - جل وعلا - بأنواع المصائب إما بِغَرَقٍ يحيط بهم من فوقهم من السماء، وإما بأن تُزلزل الأرض من تحتهم، ثم إنهم إذا كانوا على نقص من الأموال ونقص في الأنفس ونقص من الثمرات، فنظروا في حالهم فوجدوا أنهم مفرطون في أمر الله، مفرطون في

حق الله، مفرطون في أعظم الحقوق لله وهو توحيد الله بأن يظهر الشرك فيما بينهم ولا ينكرونها، تظهر المحرمات ولا ينكرونها، يشيع الفحش والفجور ولا ينكر بل يُقرّ، ويتخلف الناس عن أداء فرائض الله. إذا كانت تلك الحال وأصابهم ما أصابهم من عذاب الله أو من الابتلاء من الله جلّ وعلا، فقد يكون ذلك في حق بعض المؤمنين الذين أصيبوا بذلك يكون ابتلاء واختباراً، وفي حق الذين تنكبوا عن صراط الله وعن دين الله وغشوا المحرمات والكبائر، وما هو أعلى من ذلك يكون في حقهم عقوبة من الله - جلّ وعلا-، كما أخبر الله - جلّ وعلا- عن قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، حيث قال جلّ وعلا عنهم لما دخلوا جنتهم قالوا متعاهدين فيما بينهم: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤] حَرَمُوا الناسَ حقوقهم، فكانت تلك معصية في حقهم، وكان ذلك مؤذن بلاء من الله جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٩-٢١] الآيات، حتى قالوا معترفين: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. لما ظلموا أصابتهم العقوبة. هذه أنواع طوائف الناس في المسلمين ممن ابتلوا بأنواع المصائب؛ بل وممن ابتلوا بأنواع المسرات والخيرات.

وهذه هي الأصول الشرعية إن أصابت المصائب المؤمنين فليصبروا وليحتسبوا، وإن أصابت من فرط في أمر الله فليعلم أن ذلك نوع من العقوبة يخوف الله به عباده المؤمنين كما أخبر عليه الصلاة والسلام لما خسفت الشمس في عهده قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْخَسِفَانِ بَمُوتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ»، وقال عليه الصلاة والسلام: «يَخُوفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، إِنْ اللَّهُ لِيَغَارَ أَنْ يَزِنِي عَبْدَهُ، إِنْ اللَّهُ لِيَغَارَ أَنْ تَزِنِي أُمَّتَهُ» ^(١) وهذا من رسول الله ﷺ بيانٌ للأمة لكي تعلم أن الآيات موافقة لحكمة الله، وكون أن لها أسباب يعلمها بعض البشر لا ينافي أن لها الحكمة البالغة من الله فما من شيء يحدث إلا وهو من الله موافق لحكمة الله ماضٍ فيه أمر الله جلّ وعلا. أيها المؤمنون اعتبروا بهذه الأصول الشرعية كلٌّ بحسب حاله: من كان ذا نعمة فليشكر نعمة الله، وليستقم على أمر الله.

(١) البخاري: كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، حديث رقم (١٠٤٤).

مسلم: كتاب صلاة الكسوف، باب صلاة الكسوف، حديث رقم (٩٠١).

ومن كان ذا مصيبة فليتفكر في نفسه:

إن كان مقيماً على الإيمان فليصبر وليحتسب، وليعلم أن ذلك زيادة في إيمانه واختبار لتصديقه وبقينه.

ومن كان على ضد ذلك، فليعلم أن تلك عقوبة يعاقب بها من خالف أمر الله فهي إما ابتلاء وإما عقوبة.

نسأل الله - جل وعلا - أن يجنبنا المكروه ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنبنا الفتن في أنفسنا وفيمن نحب وفي بلادنا وفي بلاد المسلمين بعامه.

واسمعوا قول الله - جل وعلا - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من جميع الذنوب والخطايا وأتوب إليه، فاستغفروه حقاً وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيّه وخليفه، أشهد أن لا إله إلا الله شهادة نزلت بها إلى جنة الله، وأشهد أن محمداً رسول الله شهادة تقترب بها من رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحابه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله - عز وجل - فإن بالتقوى فخاركم ورفعتكم وسعادتكم في هذه الدنيا وفي الآخرة العظمى، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعلموا - رحماني الله وإياكم برحمته الواسعة - أن الله - جل جلاله - أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنّا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشّرك والمشرّكين، واحمِ حوزة الدين، وانصر عبادك الموحّدين، اللهم انصر عبادك الموحدين. اللهم انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لرفع لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم أيدهم بتأييدك وانصرهم بنصرك وقوهم بقوتك يا قوي يا عزيز.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم محكّمين لشرعك متبعين لكتابك ولسنة ونبيك صلّى الله عليه وسلّم.

اللهم إنّنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم ارحم المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللهم ارحم المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللهم وأنزل عليهم بردا من اليقين وبردا من الإيمان تتسع به صدورهم وتلين به جلودهم إلى ذكر الله. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تُصلح قلوبنا وقلوب ذرارينا وقلوب أحبائنا وأهاليها يا كريم يا رحمان يا رحيم.

عباد الرحمن، عباد الرحمن؛ إن الله يأمر بالعدل، يأمر بالعدل، عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



خطبة جمعة

«أحرص على ما ينفعك»

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، هو البشير النذير بشر بالجنة وأندر من النار، فصلّى الله عليه دائماً وأبداً كلما تعاقب الليل والنهار وكلماً ذكره الذاكرون وغفل عن الصلاة عليه الغافلون كفاء ما أُرشدنا وكفاء ما بشرّ وأندر وكفاء ما هدى وعلم، وصلى الله على آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون: اتقوا الله حق التقوى.

عباد الله ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((احرص على ما ينفعك))^(١) هذه الجملة من ذاك الحديث العظيم قاعدة من القواعد التي يمشي عليها المسلم في حياته؛ احرص على ما ينفعه، ((احرص على ما ينفعك)) يعني لتكون حريصاً، لتكون شغوفاً، لتكون مُقبلاً على الذي ينفعك، على الذي ينفعك في آخرتك، على الذي ينفعك فيما ستؤول إليه حياتك وما يتبع ذلك من أمر الدنيا، ذلك -أيها المؤمنون- أن احرص مركّب في النفس البشرية ركّب الله -جل وعلا- العباد وفطرهم على أن يكونوا حريصين فالحرص موجود في النفس، ولهذا كان من توجيهات الشرع الحكيم أن يوجّه حتى ما هو من شؤون النفس، حتى تتوجه نفس العبد قلباً وقالبا، صورة وروحا، حتى تتوجه إلى الله، حتى تتوجه إلى ما يستقبلها بعد الممات.

إنّ احرص مركّب في الأنفس كل امرئ تجد عنده حرص، فتجد الناس متنوعين:

هَذَا يحرص على جمع المال، هَذَا يحرص على جمعه من شتى ميادينه وبشتى أنواع الجمع، وهَذَا حرص يجده في نفسه مركّباً.

والثاني تجد أنه يحرص على تتبع شهواته، على تتبع ما فيه ملذّاته، على تتبع ما فيه راحتته في هَذَا الدنيا، تارة بحلال، وتارة بأنواعٍ من الحرام.

(١) مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤).

وآخر تجد أنه يحرص على تتبع أنواع من الأخبار إمّا الأخبار السياسية وإما الأخبار العلمية النظرية. وهكذا في أنواع من الناس تجدهم يحرصون على أنواع من الثقافات، ليغدّوا بذلك عقولهم - كما يقولون - ولكي يتنوّروا، تجد أنهم في حرص في ذلك يسعون إليه وفي قلوبهم شغف له.

وإذا نظرت إلى الشباب وجدت أن حرصهم وشغفهم على أنحاء متنوعة: فمنهم من حرصه على مجالس الزملاء وعلى مجالس الأصدقاء، يقضّون فيها بعض ليل وبعض نهار في حرص منهم على تلك اللقاءات وتلك الاجتماعات، وهذا لأجل أنه شيء يجدونه في أنفسهم، يترجم بتصرف منهم تارة لا يكون موزونا بميزان الشرع ولا بميزان العقل الصريح.

وهكذا إذا نظرت إلى النساء وجدت عندهم أنواعا من الحرص بما ركب الله - جلّ وعلا - في طبيعة النساء من أنواع الحرص، فهذه تحرص على ملابس، وتلك تحرص على قيل وقال، وتلك تحرص على أولاد، وتلك تحرص على أنواع من الأغذية، وهكذا في أنواع من النساء كلٌّ يحرص على ما يواكب نفسه، كلٌّ يحرص على ما تميل إليه نفسه وتجد عند تلك الأصناف جميعاً من تتبع ما تشغف به وما تحرص عليه ما لو نظره الناظر المتجرّد لتعجّب من الفعل.

هذا الذي يلهث وراء المال ليلا ونهارا تارة في هذا البلد وتارة في ذلك البلد، إذا تأمل حاله من ينظر إلى الآخرة ومن ينظر إلى أنه ليس لامرئ إلا ما كُتِبَ له تعجّب من حاله ومن حرصه.

إذا نظر المرء إلى الذين يحرصون على مجالس اللهو ومجالس القيل والقال، نظر إليهم بتجرّد وجد أن حرصهم يُتعجّب منه، ولأجل هذا لأجل أن الناس لا بد أن يكون عندهم حرص وجه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم هذه الأمة إلى أن هذا الحرص الذي ركب في الأنفس أنه لا بد أن يُوجه التوجه الصحيح وأن يُجعل في المسار الصحيح، يقول عليه الصلّاة والسّلام لهذه الأمة معلّما ومرشدا: ((احرص على ما ينفعك)).

إذا نظرت إلى أولئك الناس على اختلاف أصنافهم، وجدت أنهم إذا حرصوا فإنهم أبعد ما يكون عن الحرص على ما ينفعهم في دارهم الآخرة فيما يأتيهم بعد الموت، فيما سيستقبلون من الحياة الباقية التي لا تنقضي آمادها ولا تنقطع آجالها، إنّما هي حياة بلا موت وبقاء بلا انقطاع.

إنّ الحرص على تلك الحياة وعلى منزل المرء في تلك الحياة هو الحرص على ما ينفع المرء؛ لأنّ العاقل ينظر إلى ما ينفعه، هل سينفعه هذا الذي يلهيه في هذه الدّنيا؟ لا؛ إنه لا ينفعه، إنّما الذي ينفعه نفعاً حقيقياً باقياً إنّما هو النّفع الأخروي، وإذا انتفع بشيء في هذه الحياة الدنيا فهو إما أن يكون سببا في

إعراضه عن الآخرة فهذا يكون مذموماً، وإما أن يكون ليس بسبب جالب له الإعراض عن الدار الآخرة، فهذا له حكمه بحسبه.

وهكذا الذين يحرصون على أنواع العلوم والثقافات والأخبار التي تُنشر هاهنا وهاهنا يقرؤون كثيراً ويسمعون كثيراً، إذا تأملت حرصهم هذا كيف سيكون لو وُجِّه إلى الحرص على العلم النافع، إلى الحرص على ما به تُصَحَّ قلوبهم، ما به تصحَّ عقائدهم، ما به يقوى يقينهم بالله جل جلاله، ما به تُصَحَّ صلواتهم، تجد أولئك الحريصين إذا رأيت منهم قصوراً في صلاتهم، قصوراً في معرفتهم بالدين، في معرفتهم بالشرع، سألتهم لم هذا القصور؟ كيف تستغلُّون الأوقات الكثيرة في قراءة أخبار، في قراءة ثقافات متنوعة، إما بالعربية أو بغير العربية؟ تسألهم عن ذلك، فسيقولون: إنهم قد عرفوا دينهم، وإذا ظنَّ المرء أنه عالم فقد تدرَّج في سلَّم الجهل؛ لأن العالم الحق لا يشبع من العلم، الذي يعلم معلومة فإنه لا يشبع من أخرى، وهكذا الذي يحرص على ما ينفعه تجد أنه يحرص على ما يكون به قلبه على يقين صحيح بالله وعلى معرفة حقة بالذي خلق السموات والأرض وخلق ما بينهما وخلق الثرى، تجد الذي عنده عقل صحيح، تجد الذي عنده عقل صريح، تجد الذي عنده بصيرة نافذة يحرص على أن تكون عبادته بعلم نافع.

إذا سألت كثيرين ممن يهتمون بالقراءة لم لا تقرأون في العلم لم لا تقرأون في الأحكام التي فيها تصحيح لأعمالكم الدينية؟ وجدت عندهم أجوبة مختلفة؛ لكن الجواب الحق أنهم لم يحرصوا على ما ينفعهم.

أيها المؤمنون؛ إن الشيطان يدخل على كل نفس بما رُكِّب فيها فيدخل على من يهتم في بعض أمور الحياة الدنيا، بذلك البعض ويجب على المرء أن يكون متذكراً بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((احرص على ما ينفعك)) وإن أعظم ما ينفعك أن تكون في هذه الحياة في الدنيا حريصاً على ما تُكتب لك به الحسنات في قولٍ تقوله وفي عملٍ تعمله.

إذا دخلت البيت احرص على ما ينفعك بما تكسب به الحسنات.

إذا خرجت من البيت احرص على ما ينفعك بما تكسب به الأجر وتكسب به الحسنات، وتكسب به القرب من الذي يحفظك بحفظه، الذي يكلؤك بالليل والنهار.

أيما توجهت تذكَّر وصية المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((احرص على ما ينفعك)).

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا من الذين يحرصون على ما ينفعهم، يحرصون على ما به إنارة قبورهم، يحرصون على به رفعة درجاتهم عند الله، يحرصون على أن يتباعدوا عما يقرّبهم من دار الهوان والجحيم.

واسمعوا قول الله - جل جلاله - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقاً وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين. أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بتقوى الله عز وجل فإن بالتقوى سعادتكم وفوزكم في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة.

واحرصوا -رحمني الله وإياكم- على المحافظة على أداء الصلوات مع جماعة المسلمين بالمساجد فإن ذلكم شعار الإيمان، فقد جاء في الحديث أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: ((إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان))^(١) وهو وإن كان في سنده بعض كلام لكن يشهد له قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، والعمارة هاهنا منها ما هو العمارة المعنوية بأداء الصلوات فيها.

^(١) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة التوبة)، حديث رقم (٣٠٩٣)، قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن. سنن ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعة، باب لزوم المسجد وانتظار الصلاة، حديث رقم (٨٠٢).

قال الشيخ الألباني: ضعيف. لكن كما قال الشيخ صالح حفظه الله: (وإن كان في سنده بعض كلام لكن يشهد له قول الله جل وعلا:

﴿إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨])

احرصوا -رحمني الله وإياكم- على أن تطيعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جليل أمركم وفي صغيره قال جل وعلا ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

احرصوا على أن تجعلوا لأنفسكم المنزل الذي ترضونه في الدار الآخرة، المنزل الذي يحمل في جنة الخلد، وإياكم والتسويق فإن التسويق تقطعت به آمال قوم حتى أوردتهم المهالك.

هذا واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله جل جلاله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ودلّهم على الرشاد وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والحن وسوء الفتن، اللهم ادفع عنا الفتن، اللهم ادفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة وعن سائر بلاد المؤمنين بعامة يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك صلاحاً فينا جميعاً، اللهم أصلحنا جميعاً رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، علماء وولاة، يا أكرم الأكرمين.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على النعم يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.